

السلاف فى شبه جزيرة البلقان

وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها

(٥٩١ - ١٠١٨ م)

دكتور / وسام عبد العزيز فرج - جامعة المنصورة (*)

لاشك أن أهم تغير أصاب التكوين البشرى لشبه جزيرة البلقان منذ العصر القديم يتمثل فى غزو القبائل السلافية لاقليم البلقان واستقرارها هناك (١) . ان الظروف التى صاحبت هذا الغزو والتسلسل التاريخي

(*) يسرني أن أتقدم بالشكر للاستاذ الدكتور بول شبيك Paul Speck استاذ كرسى التاريخ البيزنطى ومدير معهد الدراسات البيزنطية بجامعة برلين الحرة للتسهيلات العديدة التى قدمها حتى يخرج هذا البحث فى افضل صورة . كما أتقدم بالشكر أيضا لمؤسسة الكسندر فون هومبولدت Alexander Von Humboldt التى تولت الانفاق على مهنتى العلمية فى جمهورية المانيا الاتحادية خلال العام الجامعى ١٩٨٤ / ٨٣ .

(١) أدى اضمحلال البناء الضخم الذى اقامه الهون Huns بعد وفاة اتيلا Attila سنة ٤٥٣م الى تغير ميزان القوى فى الاقاليم الواقعة الى الشمال من حدود الامبراطورية البيزنطية فى البلقان . وادى انهيار دولة الهون الى ظهور قبائل متبربرة عديدة كانت قد خضعت فى الماضى لحكم الهون ، من بينها القبائل السلافية . ومن غير المعروف على وجه الدقة موطن السلاف الاول ، فالمصادر لاتقدم الكثير ، ولكن من المرجح أن القبائل السلافية كانت تقطن مساحة كبيرة من السهل الاوربي الشرقى الى الشمال من جبال الكروات . وحتى الآن لاتزال الاسباب التى دفعت للسلاف الى الهجرة جنوبا والظروف التى صاحبت ظهورهم المفاجئ على طول الضفة الشمالية لنهر الدانوب فى مطلع القرن السادس الميلادى غير معروفة . ومن المحتمل انه فى أعقاب وفاة اتيلا وضمحلل دولته ، تحركت الاقوام التى خضعت للهون سعيا وراء المراعى واخذت تضغط على غيرها من الاقوام مما دفع

لقيام المستوطنات السلافية في البلقان لا يزال رغم كل ماكتب عن هذا الموضوع مسألة تثير الحيرة . والسبب في ذلك يرجع الى قلة ما ورد في المصادر التاريخية من ناحية ، كما أن التسلسل التاريخي للأحداث لا يزال غير واضح من ناحية أخرى . وإن عدم وضوح التسلسل التاريخي للأحداث يظهر جلياً في المصدر المعروف « بمعجزات القديس ديمتري » *Miracula Sancti Demetri* ، الذي يعتبر أهم مصدر لدينا عن استقرار السلاف في شبه جزيرة البلقان ^(٢) . ولقد تناول عدد من المؤرخين المحدثين هذا المصدر بالدراسة ، إلا أن الدراسات التي خرجوا بها في النهاية عادت لتؤكد حيرة الباحث ، لأن هذه الدراسات قدمت تصورات مختلفة لتسلسل الأحداث ولم تحسم القضية ^(٣) .

بالسلاف الى الاتجاه شطر نهر الدانوب . وتطلع السلاف بعد ذلك الى عبور النهر الذي كان شطر نهر الدانوب . وتطلع السلاف بعد ذلك الى عبور على أية حال ، في النصف الثاني من القرن السادس يتفشع الظلام وتبدأ المصادر تاريخية في ذكر السلاف وأغاراتهم على الممتلكات البيزنطية ثم استقرارهم في الإقليم البيزنطية في شبه جزيرة البلقان . انظر :

Lemerle, *Invasions*, 281-295 ; Obolensky, *Commonwealth*, 42-43.

Miracula Sancti Demetri, AASS, 104-197;

Miracula Sancti Demetri, PG, Cols 1174-1384.

وانظر أيضاً الطبعة الحديثة لهذا المصدر والتعليق الذي قدم به الأستاذ بول لاميرل لهذه الدراسة :

Lemerle, *Anciens Recueils*, 2 vols.

(٣) من هم للدراسات الحديثة التي تناولت المصدر المعروف « بمعجزات القديس ديمتري » الدراسات التالية :

Laurent, *Saint-Demetrius*, 420-434; Delehaye, *Recueils Antiques*, 57-64; Lemerle, *La Composition*, 349-461; Burmov, *Les Sièges de Thessalonique*, 167-215; Barisic, *Miracles de St. Démétrius*.

على أية حال ، من المعروف أن أول ظهور للسلاف في الإمبراطورية البيزنطية حدث في القرن السادس الميلادي^(٤) فمُنذ عهد الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ — ٥٦٥ م) وحتى نهاية القرن السادس ، أخذ السلاف يغيرون على الأقاليم البيزنطية في شبه جزيرة البلقان • وحتى بداية عهد الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢ — ٦٠٢ م) لم يحاول السلاف الاستقرار هناك • وشهدت الفترة الممتدة من سنة ٥٧٩ وحتى سنة ٥٨٧ م أعنف اغارات قامت بها هذه القبائل المتبربرة على الممتلكات البيزنطية في البلقان وعلى الرغم من أن الآفار Avars تولوا قيادة وتوجيه تلك الاغارات ، إلا أن السلاف شكلوا أغلبية هذه العناصر المتبربرة التي آغارت على البلقان • لقد جاء السلاف في اعداد ضخمة في وقت انشغلت فيه الجيوش البيزنطية بقتال الفرس على الجبهة الشرقية ، وهاجموا مناطق عديدة في البلقان • لقد أغاروا على الليريا Illyricum وثرانيا Thracie وتوغلوا جنوبا الى اقاليم اليونان وشبه جزيرة البلطونيز ، وساعدوا الآفار في اجتياح العديد من المراكز البيزنطية ، وفي سنة ٥٨٦ م ألغوا الحصار على مدينة سالونيك Thessalonica وكان هذا هو الحصار الأول لهذه المدينة التي كان مقدرا لها أن تشهد سلسلة من هجمات السلاف^(٥) •

4) Dvornik, *The Slavs*, 34, ff.

5) Grégoire, *L'Origine*, 88-118; Lemerle, *Invasions*, 281-282; Hauptmann, *Les Slaves et les Avars*, 137-170, Burnov, *Les Sièges de Thessalonique*, 167-215.

بالنسبة للحصار الأول لمدينة سالونيك من قبل السلاف والآفار تذكر المصادر فقط أنه حدث يوم الأحد ٢٢ سبتمبر في عهد الإمبراطور موريس ، انظر :

Miracula Sancti Demetri, PG, Col. 1288.

وعلى هذا فإن السنة التي حدث فيها هذا الحصار لابد وأن تكون إما سنة ٥٨٦ م أو سنة ٥٩٧ م ، ففي هاتين السنتين فقط خلال عهد الإمبراطور

وجدير بالذكر أن السلاف على خلاف الآفار لم يجيئوا للسلب والنهب فقط ، لقد جاءوا ليستقروا في الممتلكات البيزنطية في شبه جزيرة البلقان . فقد كتب يوحنا الأفسوسى John of Ephesus الذى عاصر تلك الأحداث قائلا :

« لا يزال السلاف يعسكرون ويقطنون اقاليم الامبراطورية في البلقان حيث يعيشون هناك في سلام بعيدا عن القلق والخوف » (٦) .

أدركت الحكومة البيزنطية خطورة الموقف في البلقان ، فما أن انتهى الامبراطور موريس من الحرب الفارسية حتى بدأ هجوما مضادا ضد الآفار سنة ٥٩١ م . وكان للعمليات العسكرية التى وجهها الامبراطور ضد الآفار أثر كبير فى وقف غارات الآفار المتكررة على القسم الأوروبى من الامبراطورية في البلقان . ويبدو أن الآفار أخذوا ابتداء من ذلك الوقت يتطلعون للغرب ، وقاموا بالفعل بتحويل اغاراتهم فى اتجاه الغرب وراء حدود الاقاليم البيزنطية . ان اتفاقية السلام التى عقدتها بيزنطة معهم حوالى سنة ٦٠١ م حددت نهر الدانوب كحد فاصل بين القوتين ، الا أن هذه الاتفاقية تركت الباب مفتوحا أمام الادارة العسكرية البيزنطية لعبور النهر شمالا لمطاردة أية جماعة من جماعات السلاف تهدد المصالح البيزنطية (٧) . ومن غير المعروف على وجه الدقة أثر العمليات العسكرية البيزنطية التى وجهها الامبراطور موريس ابتداء من سنة ٥٩١ على السلاف . فليس هناك ما يشير الى أن السلاف الذين غزوا البلقان قد عادوا الى مواطنهم شمال نهر الدانوب .

موريس كان يوم ٢٢ سبتمبر يوافق يوم أحد . واذا أخذنا فى الاعتبار الأماكن التى تواجد فيها الآفار سنة ٥٩٧ م ، فسيتضح لنا أن الآفار كانوا يعيدون عن سالونيك ولم يحاصروها . وعلى هذا فان سنة ٥٨٦ هى فى الغالب السنة التى وقع فيها الحصار الأول لدينة سالونيك . انظر :

Charanis, Capture of Corinth, 347; Barisic, Miracles de St. Démétrius, 60-64.

6) John of Ephesus (Smith), 432.

7) Hauptmann, Les Slaves et les Avars, 168-169.

ومن المرجح أن استقرار السلاف في شبه جزيرة البلقان قد حدث في مطلع القرن السابع الميلادي خلال العهد المضطرب للإمبراطور فوقاس (٦٠٢ - ٦١٠) والسنوات الأولى من عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١) بالنسبة لعهد الإمبراطور فوقاس لا تشير المصادر بشكل واضح الى أية أغارات من قبل الآفار والسلاف على الممتلكات البيزنطية في البلقان باستثناء تلك الإشارة التي وردت في حولية ثيوفانس Ththeophanes نقلا عن حولية ثيوفيلكت سيموكاتا Theophylact Simocatta (٨) .

وفي تلك الإشارة يتضح أن الآفار هاجموا الأقاليم البيزنطية مرة أخرى . أما بالنسبة لعهد الإمبراطور هرقل فتشير المصادر الى أغارات السلاف بشكل أكثر تفصيلا وإن كان التسلسل التاريخي مضطربا في كثير من الأحيان . ويتضح من هذه المصادر أن السلاف قد توغلوا حتى وصلوا الى البحر الايجي . أكثر من هذا تشير المصادر الى قيام السلاف ببناء السفن والاعارة على سواحل تسالي Thessaly والجزر المحيطة بها (٩) . والمرجح أن هذه الأحداث وقعت حوالي سنة ٦١٤م (١٠) . وفي العام التالي أغار السلاف على الاقليم المحيط بمدينة سالونيك ثم حاصروا هذه المدينة . ولكن المدينة صمدت للحصار مما دفع السلاف الى طلب العون من خان الآفار ، وحين جاء الآفار بعد ذلك بعامين تأكد للجميع صعوبة الاستيلاء على سالونيك لناعيتها وبسالة أهلها .

ويعتقد بعض المؤرخين المحدثين أن السلاف الذين أغاروا على مدينة سالونيك أكثر من مرة جاءوا من مناطق استيطانهم الجديدة في البلقان وبالتحديد في مقدونيا والاقليم المحيط بسالونيك ، وانهم استقروا

8) Theophanes, I, 290; Theophylactus Simocatta, 308.

(٩) كذلك أغار السلاف على الاقليم الاخرى Achaca ، وعلى ابيروس ، والليريا . انظر :

Miracula Sancti Demetri, PG, Cols. 1325 ff.

Tougaard, L'histoire Profane, 118-126.

10) Barisic, Miracles de St. Démétrius, 149.

فى هذه الأقاليم فى الفترة الممتدة بين نهاية عهد الامبراطور موريس والسنوات الأولى لعهد الامبراطور هرقل (١١) .

استقرت العناصر السلافية بأعداد كبيرة فى مناطق متعددة من شبه جزيرة البلقان وامتدت مناطق استيطانهم عبر اليونان جنوبا الى البلوبونيز لدرجة أن المناطق التى ظلت تحت الادارة المباشرة للامبراطورية كانت قليلة واقتصرت على : تراقيا ، مدينة سالونيك ، أتيكا Attica شرق البلوبونيز ، جزر البحر الايجى ، بعض المراكز القليلة على ساحل البحر الادرياتي وجزر البحر الأيوني (١٢) . والمرجح أن استقرار السلاف بأعداد كبيرة فى الأقاليم البيزنطية بالبلقان لم يؤد الى القضاء على السكان البيزنطيين الأصليين (١٣) .

كانت العمليات العسكرية التى وجهها الامبراطور موريس ضد الآفار والسلاف فى البلقان ناجحة ولكنها توقفت بسبب تمرد الجيش وثورته على الامبراطور ، وتبع ذلك اعتلاء الامبراطور فوقاس للعرش وبداية فترة اضطراب فى الداخل والخارج . ولا شك أن السلاف استغلوا هذه الفترة المضطربة وأخذوا يستقرون بأعداد ضخمة وعلى نطاق واسع فى الأقاليم البيزنطية بالبلقان وبدأت الادارة الامبراطورية عاجزة وغير قادرة على تحديد وجهتها . وحين اعتلى هرقل العرش ، كانت الامبراطورية منهكة مضطربة الأحوال ، وكانت المشكلة الرئيسية هى كيفية التصدى لخطر الفرس الذين استولوا على معظم أقاليم

11) Charanis, *Ethnic Changes*, 38.

12) Charanis, *Demography*, 455; Charanis, *Observations*, 15-16.

13) Charanis, *Ethnic Changes*, 41.

ويرجح بعض المؤرخين حدوث امتزاج سريع بين السلاف والسكان الأصليين ، ويستندون فى هذا الى وجود أسماء سلافية لبعض الأماكن فى أقاليم اليونان . للمزيد عن هذا الموضوع انظر :

Vasmer, *Die Slaven*, 11-19.

الامبراطورية الشرقية • ووجد هرقل نفسه مضطرا لخوض صراع طويل ومريع ضد الامبراطورية الفارسية • وما أن حقق الامبراطور النصر فى النهاية حتى ظهر خطر جديد من الشرق أيضا متمثلا فى العرب المسلمين •

وهكذا لم تكن الادارة البيزنطية منذ مطلع القرن السابع الميلادى فى موقف يسمح لها بالاهتمام بالبلقان • وفى النصف الثانى من القرن السابع كان الوقت قد تأخر لانقاذ شبه جزيرة البلقان من التغلغل السلافى • وكانت الحكومة البيزنطية تأمل فى نشر الحضارة البيزنطية بين العناصر السلافية المستقرة فى البلقان لتتصهر فى البوتقة البيزنطية (١٤) ولكن الحضارة البيزنطية لم تنتشر بسرعة بين السلاف فى البلقان وطوال الفترة الممتدة من مطلع القرون السابع وحتى أوائل القرن الحادى عشر ، احتفظ العديد من السلاف بهويتهم اللغوية (١٥) • والمعروف أن السلاف المستقرين فى البلقان كانوا عبارة عن عناصر بشرية غير منظمة تفتقر الى الوحدة والتنظيم السياسى ولم يكن لها مظاهر سياسية • كذلك كان السلاف شعبا زراعيا مجتهدا عمل على تعمير الأرض التى استقر فيها • وفى ظل هذه الخصائص التى ميزت السلاف ، حرصت الادارة البيزنطية على ترويضهم واغرائهم لاغتنام الديانة المسيحية الأرثوذكسية بهدف استيعابهم فى الكيان الامبراطورى ولكن الجهود البيزنطية لم تحقق دائما النجاح السريع • ولعل السبب فى ذلك يرجع الى قيام البلغار بغزو شبه جزيرة البلقان (١٦) •

14) Bon, *Le Péloponnèse*, 27-70.

15) Doelger, *Einsiedlung*, 1-28; Geograkas, *Slavic Groups*, 301-333.

(١٦) البلغار عناصر تركية استقرت فى البداية فى المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين ، وهناك خضعوا لسلطان الآفار الذين فرضوا سيادتهم على معظم العناصر القبرية المستقرة شمال البحر الاسود ، وذلك أثناء تقدمهم غربا تجاه الامبراطورية فى القرن السادس الميلادى • والمعروف أن سلطان الآفار فى البلقان بدأ مرحلة ضعف واضمحلال بعد فشل حصار

قام البلقان حوالى سنة ٦٧٠م بعبور نهر الدانوب الى الاقليم الشمالى الشرقى من شبه جزيرة البلقان • وأدى ظهور البلغار بخصائصهم الحضارية الى اضعاف جهود الحكومة البيزنطية لاستيعاب العناصر السلافية فى الكيان الامبراطورى • ولو اقتصر الأمر على السلاف فقط لتغيرت الصورة وربما استطاعت الامبراطورية احتواء كل العناصر السلافية المستقرة فى البلقان بسرعة •

لقد كان فى امكان الامبراطورية البيزنطية من الناحية النظرية أن تدعى السيادة على العديد من الجماعات السلافية المستقرة فى البلقان بما فيهم قبائل الصرب فى الجزء الشمالى الغربى من شبه الجزيرة (١٧) • ولكن هذه السيادة فى الواقع كانت محدودة فى المناطق التى كانت السلطة الامبراطورية المركزية ملموسة • ويجب ألا ننسى أن هجمات البلغار على الأقاليم البيزنطية فى البلقان عملت على اضعاف هذه السلطة الامبراطورية • ويمكن القول أن البلغار الذين طوروا نظامهم السياسى والعسكرى منذ فترة طويلة قبل عبور نهر الدانوب قد استطاعوا بمرور الوقت أن يحققوا ما لم يحققه أى غزاة رحل لشبه جزيرة البلقان من قبل • لقد استطاعوا تحقيق كيان حضارى مستقل قادر على أن يكون — فى نظر الجماعات السلافية المستقرة فى البلقان — البديل للامبراطورية

القسطنطينية سنة ٦٢٦ • وهنا ثار البلغار ضد الأفار وأيدت الإدارة البيزنطية البلغار فى صراعهم ضد الأفار فى أواخر عهد الامبراطور هرقل • وبسبب ضغط الخزر Khazars أضطر البلغار الى الهجرة غربا حتى وصلوا فى سنة ٦٧٠ الى دلتا نهر الدانوب • وهناك أخذ البلغار يتطلعون لعبور نهر الدانوب • للمزيد عن البلغار وأصلهم انظر : Moravcsik, *Byzantium and the Khazars*, I, 108-119.

وانظر أيضا :

وسام : دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية (الاسكندرية ١٩٨٢) ج١ ص ١٦٧ — ١٦٨ •

بالنسبة لأسباب فشل حصار الأفار للقسطنطينية سنة ٦٢٦ ، انظر : Barisic, *Siège de Constantinople*, 371-395.

17) Ostrogorsky, *Staatenhierarchie*, 41-61.

البيزنطية^(١٨) . حقيقة لم تنم العلاقات بسرعة بين السلاف والبلغار ، ولكن ما أن نمت وتقدمت حتى ازدادت المصاعب في وجه الإدارة الامبراطورية من أجل احتواء العناصر السلافية داخل الكيان الامبراطوري .

لم ترحب الإدارة البيزنطية بعبور البلغار لنهر الدانوب . فسياسة بيزنطة التقليدية تجاه البرابرة القاطنين المناطق الواقعة شمال نهر الدانوب هي الترحيب بصدائقتهم واتخاذهم حلفاء . ولكن الحكومة البيزنطية عارضت دائما وتصدت لأية محاولة من جانبهم لعبور الدانوب . ولهذا قام الامبراطور قسطنطين الرابع (٦٦٨ - ٦٨٥) بحملة عسكرية قادها بنفسه ضد البلغار ، الا أن الحملة منيت بالفشل وانتصر البلغار . ولم تكن الامبراطورية البيزنطية في موقف يسمح لها باستئناف القتال ، فقد أدى مرض الامبراطور الى انهيار الروح المعنوية للجيش في أشد الأوقات حرجا . لقد جاء البلغار ليستقروا أولا في شبه جزيرة البلقان ، واضطر الامبراطور قسطنطين الرابع الى عقد اتفاقية سلام مع خان البلغار أسباروخ Asparuch سنة ٦٨١ . واعترف الامبراطور في هذه الاتفاقية بوجود دولة بلغارية مستقلة في البلقان^(١٩) . ولم يتضح حجم الكارثة التي وقعت في البداية ، لأن المنطقة التي استقر فيها البلغار كانت قد ضاعت من قبل حين استقرت فيها العناصر السلافية . ولكن مع حلول القرن الثامن الميلادي أصبحت بلغاريا خطرا كبيرا على الامبراطورية .

(١٨) لقد كان البلغار أمة ذات حضارة تركت آثارا ونقوشا . وإذا كانت هذه الآثار والنقوش لاتزال موضع نقاش وبحث المؤرخين ، فلا شك أن هذه الآثار تعطي للبلغار جذور حضارية لم يتمتع بها غيرهم من الأقوام التي غزت شبه جزيرة البلقان . فالبلغار على خلاف الهون والآثار لم يقيموا دولة اليوم لتنهار بعد قليل . للمزيد عن آثار ونقوش البلغار انظر :

Besevliev, *Inscripfen*, 89-92.

للمزيد عن الهون والآثار انظر :

Moravcsik, *Byzantinoturica*, I, 57-65; 70-76.

19) Théophanes, I, 356-359; Nicephorus, 35.

إذا نظرنا الى خريطة للممتلكات البيزنطية في القسم الأوربي من الامبراطورية سنة ٦٨١ — باستثناء ايطاليا وصقلية — ستنتج حقيقة هامة ، وهي الاختلاف الكبير بين ما تدعى الامبراطورية البيزنطية ملكيته وبين ماتملكه بالفعل (٢٠) . ففي ذلك الوقت كان البلغار دولة مستقلة في شمال شرق البلقان ، كما أن الصرب Serbs والكروات Croats كانت لهم أيضا دويلات شبه مستقلة في الجزء الشمالي الغربي من البلقان وفي ذلك الوقت أيضا كان أسوأ ما في هجرة السلاف جنوبا قد انتهى وانقشع الغبار عن البلقان ، وأصبح السلاف حقيقة في كل مكان (٢١) . ويلاحظ أنه وسط هذه التجمعات السلافية وجدت أيضا تجمعات بيزنطية واستطاعت الصمود (٢٢) . ومن المرجح أن هذه المجتمعات البيزنطية في البلقان كانت أكثر عددا في اتجاه الجنوب ، وفي القسم الشرقي من البلوبونيز وفي جزر البحر الايجي . وكأنت هذه المجتمعات البيزنطية كافية لتأكيد ادعاءات السيادة الامبراطورية هناك (٢٣) . كذلك كانت

20) Ostrogorsky, *World Order*, 1-14.

21) Vasmer, *Die Slaven*, 20-173; Charanis, *Slavonic Settlements*, 254-258.

22) Charanis, *Monemvasia*, 141-161.

(٢٣) كانت السلطة والادارة الامبراطورية موجودة بشكل أو بآخر في النصف الثاني للقرن السابع في بعض اقاليم اليونان . فالمعروف ان الحكومة البيزنطية انشأت ثيم هلاس Hellas بين عامي ٦٨٧ و ٦٩٥ . وكان هذا الثيم يضم اقاليم في شرق ووسط اليونان مثل اقليم اتিকা Attica واقليم تسالي Thessaly انظر :

Charanis, *Hellas*, 173-174.

كذلك كانت السلطة والادارة البيزنطية موجودة بشكل أو بآخر في القرن الثامن في بعض مناطق شرق البلوبونيز ، بدليل اشارة المصادر البيزنطية لقيام الامبراطور قسطنطين الخامس في سنة ٧٥٥ بتجديد عائلات باكملها من جزر البحر الايجي ، ومن هلاس ، والبلوبونيز Peloponnesus الى مدينة القسطنطينية لتعمرها بعد ان فقدت عددا كبيرا من السكان خلال طاعون

==

سنة ٧٤٧/٧٤٦ م . انظر : *Procopius*, *History*, 1.20.1-2.

الامبراطورية البيزنطية تسيطر على عدد من المدن والمراكز الحصينة مثل سالونيك ، وكورنثا و هونيفازيا Monemvasia و باتراس Patras وكان الأسطول البيزنطي بعد انتصاح العرب المسلمين من أمام القسطنطينية ورفعهم الحصار البحري سنة ٦٧٨ ، قد استرد سيطرته على البحر الايجي .

حقيقة أن الغزو السلافي للبلقان قد دفع بعض السكان الأصليين الى الهجرة (٢٤) ، ولكن نسبة كبيرة من السكان صمدت . وبفضل هذه النسبة الطيبة من السكان البيزنطيين التي علونت الادارة البيزنطية كان مركز بيزنطة يتحسن تدريجيا في البلقان . ولاشك أن المدينة البيزنطية الهامة في شبه جزيرة البلقان ، التي انطلقت منها جهود الادارة الامبراطورية من أجل استرداد السيادة على البلقان كانت مدينة سالونيك (٢٥) ، على الرغم من أن معظم الاقليم المحيط بالمدينة كانت تقطنه أعداد كبيرة من السلاف (٢٦) . وكان بقاء مدينة سالونيك في يد

Theophanes, I, 429.

على اية حال ، تم تأسيس ثيم مستقل في البلوبونيز بعد ذلك . والرجح أن ثيم البلوبونيز قد تأسس قبل سنة ٨٠٥ م ، ففي هذا العام كان الثيم موجودا بالفعل بل وتعاقب على ادارته عدد من القادة العسكريين Strategoi للمزيد عن ثيمي هلاس والبلوبونيز انظر : .

De Thematis, 170-173; Charanis, Observations, 4-11; Oikonomidès, Préséance, 350, 351.

(٢٤) ادى غزو السلاف لشبه جزيرة البلقان وتوغلهم جنوبا حتى البلوبونيز الى هجرة عدد من السكان البيزنطيين الأصليين من اقاليم اليونان والبلوبونيز في اواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا . انظر : .

Charanis, Hellenization, 74-87, Charanis, Slavonic Settlements, 255.

(25) Charanis, Ethnic Changes, 41.

26) Charanis, Ethnic Changes, 38 ; Tapkova-Zaimova, La Colonisation, 113-115.

الادارة البيزنطية هاما للغاية فبدون هذه المدينة ، ذات الموقع الجغرافى الهام ، تصبح كل مشاريع الحكومة البيزنطية من أجل استرداد سيطرتها على اليونان والبلوبونيز صعبة التحقيق ان لم تكن مستحيلة • لقد كان فى امكان المراكز الحصينة مثل باتراس Patras ، ومونمفازيا Monemvasia فى شبه جزيرة البلوبونيز الصمود لهجمات السلاف رغم بعد وانعزال موقعهما • ولكن بدون مدينة سالونيك كحلقة وصل ومركز امداد كان مصيرهما محتوما •

ولقد أدرك اعداء الابراطورية فى البلقان الأهمية الاستراتيجية لادينة سالونيك فحاول السلاف والآفار الاستيلاء عليها أكثر من مرة فى سنة ٥٨٦ وحوالى سنة ٦١٧ (٣٧) • وتكررت محاولات السلاف ضد سالونيك فى النصف الثانى من القرن السابع وفى القرن الثامن الميلادى بالتحالف مع البلغار (٣٨) •

وكان على الادارة البيزنطية التدخل فى البلقان من أجل انقاذ سالونيك • ولقد جاء الوقت المناسب فى سنة ٦٥٧ / ٦٥٨ حين انتهز الامبراطور قنسطانز الثانى Constans II (٦٤١ - ٦٦٨) فرصة انشغال المسلمين بمشاكلهم الداخلية وقام بحملة ناجحة ضد السلاف فى شبه جزيرة البلقان (٣٩) • وكانت هذه الحملة هى أول هجوم عسكرى

(٢٧) انظر حاشية رقم (٥) فيما سبق ، وانظر ايضا :

Charanis, *Ethnic Changes*, 37-38.

(٢٨) عن نشاط البلغار فى المنطقة المحيطة بسالونيك ومحاولات الاستيلاء على المدينة ، انظر :

Charanis, *Thessalonica*, 229-247; Angelov, *Formation*, 54; Besevliev, *Inscripfen*, 110-111.

(٢٩) عن حملة الامبراطور قنسطانز الثانى ضد السلاف ، انظر :

Theophanes, I, 347-348.

بيزنطى ضد السلاف منذ عهد الامبراطور موريس (٣٠) . وفى هذه الحملة هاجم الامبراطور السلاف الذين استقروا فى اقليم مقدونيا وأولئك الذين استقروا فى الاقليم المحيط بمدينة سالونيك . ولم يقيم الامبراطور بطرد هؤلاء السلاف ولكنه أخضعهم للسيادة (٣١) . كذلك قام الامبراطور بتهجير اعداد كبيرة من هؤلاء السلاف الى آسيا الصغرى . ومنذ ذلك الوقت استقر السلاف أيضا فى بعض أقاليم آسيا الصغرى وتم تجنيد اعداد منهم فى الجيش البيزنطى (٣٢) . وكان السلاف المستقرين فى الاقليم المحيط بـ سالونيك لايزالوا محتفظين بخصائصهم ولم يعزلوا عن بقية القبائل السلافية التى استقرت فى مناطق أخرى من البلقان (٣٣) .

ان الحملة التى قام بها الامبراطور قنسطانز الثانى كانت تمثل الحد الأدنى من اهتمام الحكومة البيزنطية الضرورى لمواجهة تفاقم مشكلة السلاف . وتمت هذه الحملة بنجاح وبدون نفقات باهظة . وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الحملة تأمين مدينة سالونيك من خطر الشقوط السريع فى يد السلاف وذلك باخضاع العناصر السلافية المستقرة فى الاقليم المحيط بالمدينة وفرض الجزية عليها (٣٤) .

كانت حملة الامبراطور قنسطانز الثانى نموذجا اتبعت الإدارة الامبراطورية كلما دعت الحاجة وتوفرت الظروف المناسبة . وفى سنة ٦٨٨ / ٦٨٩ عقد الامبراطور جستنيان الثانى (٦٨٩ - ٦٩٥ / ٧٠٥ - ٧١١) هدنة مع المسلمين فى الشرق ، فتوفرت الظروف المناسبة للاهتمام

30) Ostrogorsky, State, 105.

31) Ostrogorsky, State, 105.

32) Theophanes, I, 348.

(٣٣) للمزيد عن علاقات السلاف المستقرين فى اقليم سالونيك بغيرهم من القبائل السلافية التى كانت لاتزال فى رحلة الارتحال ، انظر :

Tapkova-Zaimova, Colonisation, 111-123.

34) Theophanes, I, 347.

بالبلقان^(٣٥) . وفى هذا العام قاد الامبراطور حملة كبيرة ناجحة الى البلقان وتوغل عبر اقاليم استقرت فيها قبائل سلافية حتى وصل الى مدينة سالونيك . وادى هذا بالطبع الى تدعيم مركز الامبراطورية فى الاقليم المحيط بـ سالونيك واجبر القبائل السلافية على الخضوع للسيادة البيزنطية^(٣٦) . ولم تقتصر النتائج على توطيد مركز سالونيك كقاعدة هامة للإدارة البيزنطية ، بل أكثر من هذا أدى اخضاع السلاف الى تأكيد السلطة المركزية البيزنطية على اقليم ستريمون Strymon الذى يقع شمال سالونيك ، وبهذا تم وصل مدينة سالونيك باقليم تراقيا^(٣٧) . كذلك قام الامبراطور بنهجير اعداد كبيرة من السلاف الى آسيا الصغرى ، وبالتحديد الى اقليم بيثينيا Bithynia وليم الأوبسيق Opsikion لتعويض النقص فى سكان بيثينيا ولزيادة القوق العسكرية لليم الأوبسيق^(٣٨) .

(٢٥) وسلم : العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى (الاسكندرية ١٩٨١) ص ٤٢ ، ص ٩٤ - ٩٥ .
36) Theophanes, I, 364.

وجدير بالذكر ان الامبراطور جستينيان الثانى أصدر فى نفس العام ٦٨٨/٦٨٩ م مرسوما منح فيه كنيسة القديس ديمترى فى سالونيك بعض الامتيازات تعبيرا عن شكره للقديس ديمترى الذى بفضل انتصر الامبراطور على السلاف كما تروى الأسطورة . وفى هذا المرسوم ورد ذكر زيارة الامبراطور لمدينة سالونيك ، انظر :

Grégoire, Justinien II, 119-134; Ostrogorsky, State, 117 n.1.

(٣٧) تحول اقليم تراقيا Thrace الى ثيم فى الفترة الواقعة بين عامى سنة ٦٨٠ وسنة ٦٨٧ م ، ربما كرد فعل لعبور البلغار نهر الدانوب واستقرارهم فى شمال شرق البلقان . والمرجح ان اقليم ستريمون Strymon كان يتبع الإدارة العسكرية لهذا الثيم . انظر عن ثيم تراقيا :

De Thematibus, 156-159; Oikonomidès, Préséance, 349-355.

وانظر ايضا :

Charanis, Demography, 458; Ostrogorsky, State, 119; Browning, Bulgaria, 47.

38) Ostrogorsky, State, 117.

أن أبعاد حملة جستنيان الثاني سنة ٦٨٨ / ٦٨٩ تتضح أكثر عند فحص موقف الامبراطورية البيزنطية تجاه كل من السلاف والبلغار . إن طبيعة هذه العلاقة الثلاثية تفسر سياسة الحكومة البيزنطية بالنسبة للأقليم المحيط بمدينة سالونيك بل وبالنسبة للممتلكات البيزنطية في شبه جزيرة البلقان (٤٩) . لقد سمح الامبراطور جستنيان الثاني مثل سلفه قنسطانز الثاني ببقاء المجتمعات السلافية داخل حدود الامبراطورية في البلقان بشرط الخضوع للسيادة الامبراطورية . كان هدف الادارة الامبراطورية أن تقوم هذه العناصر الجديدة بزراعة الأرض التي هجرها أصحابها تحت وطأة العزو الخارجي وأن تتقبل الحضارة البيزنطية . فإذا ماتت هذه العناصر المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية وانخرطت في جند الشيمات للدفاع عنها ، تكون الادارة الامبراطورية قد عوضت النقص الواضح في السكان البيزنطيين في البلقان واكتسبت دماء جديدة وعناصر منتجة .

إن حملة جستنيان الثاني كانت أكثر اهتماما بخطر البلغار الجاثم في شمال شرق البلقان والذي يتهود الممتلكات البيزنطية (٥٠) . إن وجود دولة بلغارية مستقلة في شمال شبه جزيرة البلقان كان مكرها واضطرت الحكومة البيزنطية إلى التسليم فيه ، ولكن بيزنطة ما كانت لتسمح بوقوع سالونيك أو تراقيا أو شرق مقدونيا تحت سيطرة البلغار . وجدير بالذكر أن كثافة السكان البيزنطيين الأصليين كانت قليلة في مقدونيا والأقليم المحيط بمدينة سالونيك ، لهذا سمحت الحكومة البيزنطية ببقاء السلاف ولم تحاول طردهم حتى لا تعمل على خلق منطقة فراغ تعرى البلغار باحتلالها . وهكذا يمكن القول أن حملة جستنيان الثاني عملت على طرد البلغار بعيدا عن تراقيا وشرق مقدونيا وإقليم

39) Angelov, Formation 49-64.

(٤٠) أشار ثيوفانس إلى أن حملة جستنيان الثاني كانت ضد السلاف والبلغار أيضا ، انظر :

Theophanes, I, 364; Charanis, Observations, 11-12.

سلاونيكاً • كما عملت أيضا على إخضاع السلاف وتهجير أعداد كبيرة منهم الى آسيا الصغرى لتعمير بعض المناطق فيها • وبالنسبة للسلاف الذين خضعوا للسيادة البيزنطية ، حرصت الإدارة الامبراطورية على الحيلولة دون اتحاد أو حتى اتصال هذه العناصر السلافية بالبلغار • وفي هذا المجال حددت الحكومة البيزنطية جملة قواعد للحيلولة دون اتصال السلاف بالبلغار ولضمان خضوع العناصر السلافية للسيادة البيزنطية (٤١)

ويبدو أن هذه السياسة البيزنطية قد حققت بعض النجاح • ولكن استمرار نجاح السياسة كان يعتمد على قوة الامبراطورية العسكرية واهتمامها بممتلكاتها في البلقان • ولم تكن الامبراطورية البيزنطية قادرة دائما على توفير القوة لتأكيد ارادتها وردع أعدائها في القسم الأوربي من ممتلكاتها • وخلال انشغال الإدارة البيزنطية بالصراع ضد العرب المسلمين في آسيا الصغرى ، أو أثناء الانشغال بالمشاكل الداخلية ، كان البلغار ينتهزون الفرصة لتهديد المصالح البيزنطية سواء بالاعتداء على أقاليم تراقيا ومقدونيا أو بإثارة القلاقل بين العناصر السلافية المستقرّة في الأقاليم البيزنطية والعمل على كسب ود هؤلاء السلاف (٤٢) • لقد أدرك البلغار أن الاتحاد مع العناصر السلافية المستقرّة في بلغاريا ، وتلك المستقرّة في الأقاليم البيزنطية ضروري من أجل إقامة دولة بلغارية قوية في البلقان •

ولم تكن العلاقات بين البلغار والامبراطورية البيزنطية سيئة دائما • فاحيانا كانت المصالح البيزنطية تلتقي مع المصالح البلغارية كما حدث سنة ٧٠٥ حين تحالف خان البلغار ترفل Tervel (٧٠١ - ٧١٨) مع الامبراطور المعزول جستنيان الثاني وساعده على استرداد

41) Angelov, Formation, 55.

(٤٢) من أمثلة تمرد السلاف ضد السيادة البيزنطية ذلك التمرد الذي حدث ضد الإدارة البيزنطية في عهد الامبراطور تيبريوس الثاني Tiberius II (٦٩٨ - ٧٠٥ م) ومن المحتمل أن بلغاريا هي التي حرّضت السلاف على التمرد • انظر :

Michel Le Syrien, II, 473.

عرشه (٤٣) • ولكن المظالم البلغارية كانت واضحة ، وكانت الحكومة البيزنطية حريصة طوال القرن الثامن الميلادي بالدبلوماسية وعن طريق بناء حلقة من التحصينات القوية على طول حدودها الشمالية الحيلولة دون توغل البلغار الى تراقيا أو في عمق مقدونيا •

ولكن في منتصف القرن الثامن الميلادي أخذ الخطر البلغاري بعدا خطيرا واحتاج الأمر الى قوة بيزنطة العسكرية • فلقد نظر البلغار الى التحصينات البيزنطية على حدودهم كخطر يتهددهم ، ولم يكتفوا بآثاره السلاف القاطنين في مقدونيا بل أغاروا على الممتلكات البيزنطية في تراقيا سنة ٧٥٦ (٤٤) • وأدرك الامبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥) ، الذي كان قد حقق نوعا من الاستقرار في الجبهة الشرقية ، ضرورة التدخل العسكري في البلقان • ففي سنة ٧٥٨ م شن الامبراطور حملة سريعة حاسمة ضد المناطق التي استقر فيها السلاف في مقدونيا ، وأخضع هذا الاقليم للإدارة البيزنطية (٤٥) • وأدت هذه الحملة أيضا الى عزل السلاف في مقدونيا عن النفوذ البلغاري في الشمال • وما أن انجز الامبراطور هذه المهمة حتى التفت الى مصدر الخطر الحقيقي المتمثل في دولة بلغاريا • وقام الامبراطور بحوالى تسع حملات عسكرية ضد بلغاريا ، واتبع في معظمها تكتيك الهجوم المزدوج ليصبح هذا التكتيك تقليدا

(٤٣) بعد أن نجح جستنيان الثاني في استرداد عرشه سنة ٧٠٥ م ، عامل خان البلغار بكرم وحفاوة ومنحه لقب قيصر الذي كان يلي في المكانة لقب امبراطور الا أنه فقد في ذلك الوقت أهميته الأولى • وكانت هذه هي المرة الأولى التي تمنح فيها بيزنطة هذا اللقب لحاكم أجنبي • ومن المرجح أن خان البلغار ترغل أعتنق المسيحية أثناء إقامته بالعاصمة البيزنطية ، ولكن بلغاريا ظلت دولة وثنية • وكذلك قام الامبراطور جستنيان الثاني بمنح خان البلغار اقليم زاجوريا Zagoria الذي يرجح أنه يقع بين جبال البلقان وخليج بورجاس Burgas انظر :

Browning, Bulgaria, 48; Besevliev, Inschriften, 58.

44) Ostrogorsky, State, 149.

45) Theophanes, I, 430.

عسكريا في قتال البلغار بعد ذلك ، والحق الهزيمة تلو الهزيمة بالبلغار (٤٦) . ورغم التفوق العسكري البيزنطي وموهبة قسطنطين الخامس العسكرية وكفاءته السياسية لم يتمكن الامبراطور من القضاء نهائيا على البلغار . وطوال ثلاثة عشر عاما بدءا من سنة ٧٦٢ استمرت العمليات العسكرية بشكل غير متصل حتى نهاية حياة الامبراطور الذي توفى خلال حملته الأخيرة ضد البلغار في ١٤ سبتمبر سنة ٧٧٥ دون أن يتم التوصل الى حل نهائي لمشكلة البلغار (٤٧) . وإذا كانت حملات قسطنطين الخامس لم تقض على بلغاريا الا أنها استنفذت قوتها العسكرية وعظمت نموها لبعض الوقت . ونتج عن هذا تأمين مقدونيا وضمان عدم تدخل البلغار هناك لسنوات قادمة (٤٨) .

كذلك تم تدعيم مركز سالونيك كقاعدة هامة للنفوذ البيزنطي . ويمكن القول أن النفوذ البيزنطي على السلاف المستقرين في الأقاليم البيزنطية بالبلقان قد نمت بوضوح بفضل جهود قسطنطين الخامس . وبدأ وكأن بيزنطة تسير قدما في سبيل استرداد سيادتها على شبه جزيرة البلقان ، ولكن المستقبل كان ينفذ بمزيد من الخطر .

(٤٦) يتلخص تكتيك الهجوم المزدوج الذي اتبعه قسطنطين الخامس في حملته الأولى ضد البلغار سنة ٧٦٣ في قيام الامبراطور بارسال فرق الفرسان بحرا الى مصب نهر الدانوب لتتقدم بعد ذلك من مصب نهر الدانوب جنوبا تجاه بلغاريا ، بينما يتقدم الامبراطور بنفسه على رأس فرق المشاة برا عبر اقليم تراقيا وعلى طول ساحل البحر الأسود شمالا ، وبهذا يتحقق الهجوم على البلغار من الشمال والجنوب . انظر

Theophanes, I, 434-435; Nicephorus, 67; Ostrogorsky, State, 150.

47) Ostrogorsky, State, 151.

48) Besevliev, Konstantine V, 5-17.

وجدير بالذكر أن حولية البطريرك نقفور تشير الى هجرة أعداد كبيرة من السلاف من منطقة الحدود البيزنطية البلغارية تجاه اقليم تراقيا ، وقيام الامبراطور قسطنطين الخامس بتوطينهم في اقليم بيثينيا في آسيا الصغرى . انظر :

Nicephorus, 68-69.

وإذا كانت وفاة الامبراطور قسطنطين الخامس سنة ٧٧٥ قد وضعت نهاية مؤقتة للصراع ضد بلغاريا ، الا أنها لم تضع نهاية للجهود البيزنطية من أجل تأكيد السلطة الامبراطورية في مقدونيا واليونان والبلوبونيز . لقد استفادت الامبراطورية من الهدوء النسبي الذي ساد العلاقات البيزنطية البلغارية ، وقامت الحكومة البيزنطية في أوائل عهد إيرين كوصية على ابنها قسطنطين السادس (٧٨٠ - ٧٩٧) — Irene بارسال حملة عسكرية بقيادة ستاوراكيوس Stauracius سنة ٧٨٣م الى الاقليم المحيط بمدينة سالونيك . وبعد أن أخضع السلاف القاطنين هناك مرة أخرى ، تقدم الجيش البيزنطي جنوباً الى وسط اليونان وشبه جزيرة البلوبونيز (٤٩) . وهناك أخضع القائد البيزنطي القبائل السلافية للحكم البيزنطي وفرض عليها دفع الجزية (٥٠) . وهكذا عادت السيادة البيزنطية على أقاليم اليونان والبلوبونيز .

ويلاحظ أنه طوال قرن وربع من الزمان (٦٥٨ - ٧٨٣) كانت سالونيك وبالتحديد الاقليم المحيط بهذه المدينة هدفاً لأربع حملات عسكرية بيزنطية : حملة قنسطانز الثاني سنة ٦٥٧ / ٦٥٨ ، وحملة جستنيان الثاني سنة ٦٨٨ / ٦٨٩ ، وحملة قسطنطين الخامس سنة ٧٥٨ ، ثم أخيراً حملة ستاوراكيوس في عهد وصاية إيرين سنة ٧٨٣ . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا : لماذا استلزم الأمر كل هذا الجهد العسكري ؟ وهل كانت الادارة البيزنطية غير مهيمنة تماماً على الموقف في الأقاليم المحيطة بمدينة سالونيك لفترة طويلة ؟ ان الإجابة على هذا السؤال تتضح في سياسة التهجير التي قام بها الامبراطور نقفور الأول (٨٠٢ - ٨١١) . ففي سنة ٨١٠ قام نقفور الأول بتهجير أعداد كبيرة من السكان البيزنطيين من ثيمات آسيا الصغرى الى المناطق التي استقر

49) Theophanes, I, 456.

50) Theophanes, I, 457.

فيها السلاف في البلقان (٥١) .

والحقيقة انه قبل عملية تهجير العناصر البيزنطية الى البلقان سنة ٨١٠م ، كانت أعداد السلاف المستقرين في الاقليم المحيط بسالونيكيا ، والقاطنين أقاليم مقدونيا واليونان والبلوبونيز كبيرة بالمقارنة لعدد السكان البيزنطيين المستقرين هناك . وان هذه الحقيقة جعلت الحكومة البيزنطية عاجزة عن تأكيد سيطرتها الكاملة على تلك الأقاليم بعد عودة كل حملة من الحملات العسكرية التي أرسلتها الى هناك . لقد كان الأمر يحتاج لوجود عدد أكبر من العناصر البيزنطية التي تتكلم اليونانية وتعتنق المسيحية الأرثوذكسية كي يتحقق اندماج السلافية وانصهارها في بوتقة الحضارة البيزنطية . وكانت الادارة البيزنطية تفتقد الحل الحقيقي لهذه المشكلة قبل عهد الامبراطور نففور الأول (٥٢) .

وكان الامبراطور نففور الأول قد تأكد من عدم فاعلية الحملات العسكرية ضد السلاف بعد تلك الثورة التي قام بها السلاف القاطنين شبه جزيرة البلوبونيز ضد السيادة البيزنطية . ففي أوائل عهد نففور الأول ثار السلاف في البلوبونيز وقاموا بنهب ممتلكات جيرانهم البيزنطيين ثم هاجموا قلعة باتراس Patras سنة ٨٠٥ ، الا أن سكليروس Sclerus قائد ثيم البلوبونيز الحق بهم الهزيمة . وأمر الامبراطور باعادة بناء باتراس لتصبح مدينة ، ونقل اليها عناصر بيزنطية من اقليم

51) Theophanes, I, 486.

ذكر ثيوفانس — وهو المصدر الرئيسي والمعاصر لأحداث هذه الفترة — ان العناصر البيزنطية التي قام الامبراطور بتهجيرها جاءت من كل أنحاء وأقاليم الامبراطورية وانها استقرت في Sclavinia بالبلقان . وكلمة Sclavinia تعني الأقاليم التي قطنها السلاف في شبه جزيرة البلقان . وهذا يتضمن بالطبع أقاليم تراقيا ، مقدونيا ، اقليم سالونيكيا ، اليونان ، وشبه جزيرة البوبونيز . للمزيد عن معنى كلمة انظر :

Charanis, Observations, 11-12; Charanis, Nicephorus I, 79-83.

(٥٢) يطلق الأستاذ خرائيس Charanis على الامبراطور نففور

الأول لقب « منقذ بلاد اليونان » ، انظر :

Charanis, Nicephorus I, 86.

كلابريا Calabria لتعмирها ، كما حول كنيستها إلى اسقفية (٥٣) .
ولا شك أن هزيمة السلاف عند قلعة باتراس سنة ٨٠٥ ، فضلا عن تهجير أعداد كبيرة من السكان البيزنطيين من أقاليم آسيا الصغرى إلى إقليم سالونيك وبقيّة أقاليم اليونان والبلوبونيز سنة ٨١٠ ، قد نتج عنها استرداد الإدارة البيزنطية لسيادتها على اليونان والبلوبونيز كما أنها كانت البداية الحقيقية والعملية لامتصاص العناصر السلافية المستقرة هناك في الكيان الامبراطوري (٥٤) ويمكن القول أن أحوال السلاف استقرت إلى حد بعيد بعد سنة ٨١٠ في الأقاليم المحيطة بمدينة سالونيك .
والمرجح أن المشكلات التي تسببت فيها العناصر السلافية أصبحت قليلة ، ولم تحتاج إلى نفس القوة العسكرية التي احتاج لها الأمر دائما قبل سنة ٨١٠ . فالمصادر تشير أن السلاف في إقليم سالونيك عاشوا حياة هادئة وأنهم كانوا تابعين مخلصين للإدارة البيزنطية وأنهم قاتلوا بشجاعة إلى جانب البيزنطيين ودافعوا عن مدينة سالونيك التي تعرضت لهجوم المسلمين سنة ٩٠٤ (٥٥) . وأدى استقرار الأمور في

(٥٣) المصدر الرئيسي لهذه المعلومات هو الحولية المعروفة بـ « حولية مونمفازيا » Chronicle of Monemvasia . ولقد أثبتت الدراسات التاريخية أخيرا صحة المعلومات الواردة في هذه الحولية التي تتضمن معلومات قيمة عن التقلع السلافي في بلاد اليونان منذ عهد الامبراطور موريس وحتى عهد الامبراطور نقفور الأول فضلا عن معلومات أخرى مفيدة متأخرة زمنيا .
ورغم كل الدراسات التي ظهرت حتى الآن ، لا يزال مؤلف هذه الحولية مجهولا ، كما أن تاريخ كتابتها غير معروف على وجه الدقة . انظر :

Lemerle, Chron. Monemvasia 10; Charanis, Monemvasia, 147-

148, 152; Charanis, Nicephorus I, 82-83.

ومن الجدير بالذكر أن الأحداث الخاصة بثورة السلاف في البلوبونيز ومهجرتهم على قلعة باتراس Patras قد وردت في مؤلف الامبراطور قسطنطين السابع الخاص بالإدارة الامبراطورية دون ذكر اسم سكليروس قائد ثيم البلوبونيز الذي أخمّد ثورة السلاف ، انظر أيضا :
DAI, I, ch. 49, 228-232.

وللمزيد عن سكليروس قائد ثيم البلوبونيز ، انظر :

Seibt, Die Skleroi, 20.

54) Ostrogorsky, State, 171, n. 4.

55) Cameniatas, De Exp., 20, 25.

الأقليم المحيط بمدينة سالونيك في القرن التاسع الميلادي ، الى تحسن الأحوال لصالح الإدارة البيزنطية في أقاليم اليونان والبلوبونيز وتؤكد هذا في تطور نظام التيمات وانشاء تيمات جديدة .

وإذا أردنا تحديد الأقاليم التي كانت تحت الحكم المباشر للإدارة الامبراطورية والأقاليم التي كانت تابعة اسمياً للإمبراطورية ، فمن الضروري أن نحدد مدى انتشار نظام التيمات في شبه جزيرة البلقان فهذا هو المقياس الصحيح للأوضاع الحقيقية . فحيث وجدت التيمات ، وجدت الإدارة البيزنطية المباشرة والحقيقية^(٥٦) . والمعروف أنه عند نهاية القرن السابع الميلادي كان لبيزنطة تيم تراقيا في شمال البلقان ، وتيم هلاس Hellas في الجنوب . ولقد استمر هذا الوضع فترة طويلة ، وعند نهاية القرن الثامن الميلادي انشأت الحكومة البيزنطية تيم مقدونيا ليكون تيم مستقلاً عن تيم تراقيا الأوربي . ولم يكن هذا التيم الجديد يضم كل إقليم مقدونيا الجغرافي ، ففي الواقع كان هذا التيم يشتمل على غرب تراقيا والجزء الشرقي من إقليم مقدونيا الجغرافي^(٥٧) . وكذلك تم انشاء تيم البلوبونيز في أواخر القرن الثامن أو مطلع القرن التاسع الميلادي^(٥٨) . وفي السنوات الأولى للقرن التاسع الميلادي انشأت الإدارة الامبراطورية تيم سفالونيا Cephalonia الذي ضم جزر البحر الأيوني في غرب اليونان^(٥٩) . وخلال النصف الأول من نفس

56) Ostrogorsky, State, 172.

(٥٧) أشار ثيوفانس الى مقدونيا كتيم منفصل عن تراقيا لأول مرة في أحداث سنة ٨٠٢ . ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن تيم مقدونيا تكون في الفترة ما بين سنة ٧٨٩ وسنة ٨٠٢ ، انظر :

Theophanes, I, 475; De Thematibus, 162-165; Oikonomidès, Préséance, 349; Lemerle, Macédoine, 122-123.

(٥٨) للمزيد عن تيم البلوبونيز ، انظر :

De Thematibus, 172-173; Oikonomidès, Préséance, 350; Charanis, Observations, 4-11.

(٥٩) للمزيد عن تيم سفالونيا ، انظر :

De Thematibus, 174-175; Oikonomidès, Préséance, 352; Oikonomidès, Cephalonie, 118-119.

القرن أصبحت سالونيك والاقليم المحيط بها ثيما مستقلا ، كما تحول ميناء ديراخيوم Dyrrachium ، أهم قاعدة بحرية للامبراطورية على البحر الادرياتي ، والاقليم المحيط به الى ثيم مستقل أيضا حوالى نفس الوقت (٦٠) .

وهكذا أصبح جزء كبير من اقاليم البلقان يخضع للإدارة البيزنطية المباشرة . وكانت المستوطنات السلافية تقع فى اطار هذه التنظيمات الادارية العسكرية .

وتجدر الاشارة الى أن بعض القبائل السلافية التى استقرت فى اليونان وخصوصا تلك التى استقرت فى البلوبونيز ظلت تعيش فى ظل نوع من الحكم الذاتى رغم التطور الذى أصاب الثيمات الأوربية . فبعض القبائل السلافية المستقرة داخل حدود ثيمى هلاس والبلوبونيز احتفظت بكثير من خصائصها وعاشت فى ظل نوع من الحكم الذاتى لفترة من الزمن قبل انصهارها فى النهاية فى بوتقة الحضارة البيزنطية . ويمكن تفسير ذلك بأن بعض القبائل السلافية استقرت فى المناطق الجبلية التى يصعب الوصول إليها فى غرب شبه جزيرة البلوبونيز ، وهى مناطق كان الكثير منها محدود القيمة الاقتصادية من وجهة نظر الحكومة البيزنطية (٦١) . والمعروف أن اقتصاد السلاف كان يقوم على الاكتفاء الذاتى فى بداية استقرارهم فى اقاليم اليونان . وفى ظل الاكتفاء الذاتى كان الاتصال محدودا (٦٢) . وفضلا عن هذا وذاك كانت أعداد السلاف

(٦٠) عن ثيم سالونيك انظر :

De Thematibus, 168-170; Oikonomidès, Préséance, 352; Dvornik, Décapolite, 8-12; Lemerle,

وللمزيد عن ثيم ديراخيوم Dyrrachium ٤ انظر :

De Thematibus, 117; Oikonomidès, Préséance, 352; Ferluga, Dyrrachium, 83-92.

Karayannopulos, Frage, 448.

(٦٢) اشار المصدر العسكرى الذى ينسب للامبراطور موريس الى

حياة السلاف فى بداية مرحلة استقرارهم فى اقاليم البلقان . انظر :

Maurice, Strategikan, 370-375.

كبيرة وفاقت بالطبع أعداد السكان البيزنطيين الأصليين • وطوال القرن الثامن الميلادي وجزء من القرن التاسع اقترن الحكم الذاتي للسلاف بالقرصنة واللصوصية^(٦٣) • وكما سبق أن أوضحنا إذا كان في مقدور الجيش الامبراطوري اخضاع القبائل السلافية للسيادة البيزنطية مع فرض الجزية عليها ، الا أنه لم يكن في مقدوره القضاء على استقلالهم الذاتي ، وكان الحل الوحيد هو وجود أعداد أكبر من العناصر البيزنطية التي تتكلم اليونانية وتدين بالمسيحية الأرثوذكسية • وهذا ماتحقق في القرن التاسع بفضل سياسة التهجير التي قام بها الامبراطور نقفور الأول • ولم تأت النتائج سريعة بالطبع ولم يتم القضاء على وضع الاستقلال الذاتي للسلاف بين يوم وليلة ، لقد احتاج الأمر الى تعاون العناصر البيزنطية مع إدارة الثيمات وبمرور الوقت اكتسب السلاف خصائص الحضارة البيزنطية^(٦٤) • وحين نتحدث عن السلاف في شبه جزيرة البلقان فيجب أن نفرق بين أحوال السلاف المستقرين في شمال البلقان ، وأولئك المستقرين الى الجنوب من اقليم سالونيك في أقاليم اليونان والبلوبونيز • لقد كان هناك اختلاف وانعكس هذا الاختلاف على جهود الحكومة البيزنطية من أجل استيعابهم في الكيان الامبراطوري •

بالنسبة للعناصر السلافية المستقرة في أقاليم جنوب البلقان أي في اليونان والبلوبونيز ، فقد سيطرت هذه العناصر على معظم أقاليم اليونان والبلوبونيز لأكثر من قرنين من الزمان : « منذ العام السادس لعهد الامبراطور موريس (٥٨٧) وحتى العام الرابع لعهد الامبراطور نقفور الأول (٨٠٥) » طبقا لرواية احدى الحوليات البيزنطية^(٦٥) • في القرن السابع الميلادي لم يكن في مقدور الحكومة البيزنطية الاهتمام باليونان أو البلوبونيز التي كانت تقع بعيدا عن خطوط المواصلات

63) Maurice, *Strategikon*, 372,373; Dvornik,

64) Charanis, *Demography*, 462.

65) Monemvasias *Chronik*, 68-69; Charanis,

Nicephorus I, 81; Charanis, *Monemvasia*, 149.

الرئيسية للإمبراطورية • وكانت الإدارة الإمبراطورية تعطى هذه الأقاليم أهمية ثانوية بالمقارنة بآسيا الصغرى التى كانت مركز الثقل الحقيقى للإمبراطورية • كذلك كانت بيزنطة مشغولة دائما بالتصدي للاخطار الخارجية التى هددت آسيا الصغرى • وكان الحد المؤثر للإدارة البيزنطية فى هذه الأقاليم قاصرا على بعض مناطق وسط اليونان مثل طيبة Thebes وأثينا وكورنثا ، وعلى بعض الموانئ الهامة مثل سالونيك وعلى جزر البحر الايجى • وفى شبه جزيرة البلوبونيز كانت الإدارة البيزنطية متموسة فى بعض المراكز الساحلية مثل ناوبليا Nauplia ، مونمفازيا Monemvasia ، ياتراس Patras بالإضافة الى جزر البحر الايونى (٦٦) أما بقية أقاليم اليونان والبلوبونيز فقد استقرت فيها العناصر السلافية بأعداد ضخمة •

ويلاحظ أن هذه العناصر السلافية لم تجمعها وحدة سياسية قبل عاشت فى مجتمعات منفصلة • وكذلك لم تحاول أية قوة خارجية فرض الوحدة السياسية عليهم كما حدث للسلاف المستقرين فى أقاليم شمال البلقان سواء من قبل الأقار أو البلغار • لقد عاش السلاف هناك فى وحدات قبلية ، وكل وحدة يحكمها مجلس القبيلة • وفى بعض الأحيان شكلت هذه الوحدات القبلية تحالفات مؤقتة لغرض معينة • وفى هذا المجتمع القبلى تشكلت طبقة أرستقراطية عسكرية ، وكانت هذه الطبقة الحاكمة الجديدة معجبة بالحضارة البيزنطية ونمط الحياة البيزنطى • وإذا كانت المجتمعات السلافية فى البداية محدودة الاتصال بالعناصر البيزنطية المستقرة فى المناطق المجاورة لكان هذا الوضع لم يستمر طويلا • ففى القرن التاسع زلزال قدوم العناصر البيزنطية نتيجة لسياسة التهجير التى اتبعتها الحكومة البيزنطية • وكانت الحاجة الى التجارة هى التى دفعت التجار البيزنطيين الى القرى السلافية • والفلاحين السلاف الى المراكز البيزنطية وفى القرن التاسع كانت هناك مجتمعات

قروية بيزنطية قوية ووسط المجتمعات السلافية وعلى هذا بدأ طور تدريجي من تقبل السلاف للحضارة البيزنطية ، وبدأ اعتناق العناصر السلافية للمسيحية تدريجيا (٦٧) .

ومن حسن الحظ أن المجتمع البيزنطي لم يعرف العنصرية ، فالسلافي الذي تعلم اليونانية واعتنق المسيحية الأرثوذكسية وجد أمامه معظم الأبواب مفتوحة ، وإن المؤامرة الفاشلة ضد حكم الامبراطورة أيرين سنة ٧٩٨ / ٧٩٩م التي شارك فيها أكامير Akamir زعيم قبيلة فلزيتي Velziti السلافية مثال ودليل على دخول بعض العناصر السلافية في الحياة والسياسة البيزنطية . فهذا الزعيم السلافي لم يتآمر ضد الامبراطورة ليعتلي هو العرش البيزنطي ، ولكنه تآمر لاسقاط أيرين ليعتلي أحد أبناء الامبراطور قسطنطين الخامس العرش (٦٨) . وهكذا كان أكامير Akamir يؤيد أكد الاتجاهات المعادية لحكم الامبراطورة أيرين ولم يكن يعمل من أجل الاستقلال الذاتي .

مثال آخر ، ثورة توماس السلافي ضد الامبراطور ميخائيل الثاني (٨٢٠ - ٨٢٩) . لقد كان توماس أحد أبناء المجتمعات السلافية المستقرة في آسيا الصغرى ، وتدرج مناصب القيادة العسكرية في عهد الامبراطور ليو الخامس الارمني (٨١٣ - ٨٢٠) وقاد الثورة ضد خلفه ميخائيل الثاني ، وخلال هذه الثورة نادى بنفسه امبراطورا ولكن الثورة فشلت (٦٩) .

ومن الجدير بالذكر أن الطبقات العليا من العناصر السلافية المستقرة في أقاليم اليونان والبلقونيز حققت تقدما أسرع في تقبل خصائص

67) Obolensky, Commonwealth, 79.

68) Theophanes, I, 473-474.

69) Browning, Bulgaria, 52.

ويضيف الأستاذ بروننج Browning أن البطريرك نيكيتاس Nicetas (٧٦٦ - ٧٨٠) قد يكون من أصل سلافي ، ولكن الأدلة غير كافية .

الحضارة البيزنطية ، وانصهرت في المجتمع البيزنطي بعد أن اختلطت دمائها بدمائه ، بينما حققت العناصر السلافية القروية تقدما أبطأ واحتاجت لوقت أطول . ويتضح هذا في قصة أسرة رنتاكيوس Rentacius ذات الأصل السلافي . فهذه الأسرة الأرستقراطية ، التي تعتبر من أقدم عائلات طبقة كبار الملاك في القسم الأوربي من الامبراطورية ، كانت تمتلك المضياع الشاسعة في الاقليم المحيط باستبرطة . ولقد ورد ذكر هذه الأسرة لأول مرة في المصادر البيزنطية في أحداث أوائل القرن الثامن الميلادي عندما ثار البطريق زيسينينوس رنتاكيوس Sissinius Rentacius ضد الامبراطور ليو الثالث سنة ٧١٧م^(٧٠) واحتفظت هذه الأسرة بمكانة اجتماعية متميزة طوال القرنين التاسع والعاشر . ولقد ادرك الامبراطور رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus أن هذه الأسرة ذات ثروة ونفوذ فحرص على الارتباط بها ليدعم مركز أسرته . ونتيجة لذلك تزوج كريستوفر Christopher ابن الامبراطور رومانوس من صوفيا ابنة نيكيتاس رنتاكيوس . وهكذا نجحت هذه الأسرة ذات الأصل السلافي في الارتقاء بعد أن اختلطت دمائها السلافية منذ فترة طويلة بالدماء الهلينية^(٧١) .

وفي الواقع أن السلاف المستقرين في أقاليم اليونان والبلوبونيز والمنعزلين عن بلغاريا لم يكن ألامهم سوى طريق واحد في النهاية الا وهو تقبل الحضارة البيزنطية . وفي القرن التاسع كان اندماج العناصر السلافية في المجتمع البيزنطي يسير قدما .

بالنسبة للعناصر السلافية المستقرة في أقاليم شمال البلقان فقد كان الموقف مختلفا . ويمكن التمييز بين مجموعتين من العناصر السلافية هناك : العناصر السلافية التي استقرت في أقاليم تابعة للإدارة

70) Theophanes, 1, 400.

71) De Thematis. 91.

البيزنطية ، والعناصر السلافية المستقرة فى اقلليم غير خاضعة للاطردة البيزنطية أو تابعة لدولة البلغار . بالنسبة للمجموعة الأولى ، فقد سبق أن أشرنا أن العناصر السلافية استقرت فى تراقيا ، ومقدونيا ، وستريمون Straymon ، واقلليم سالونيك . أما المجموعة الثانية ، فالمعروف أنه بعد عبور البلغار لنهر الدانوب واستقرارهم فى دبرودجا Dobrudja ومواشيا Moesia فى شمال شرق البلقان ، وكان هذا الاقلليم تقطنه أعداد كبيرة من السلاف الذين خضعوا بالتالى للبلغار (٧٢) . واتخذ البلغار فى البداية بليسا Pliska عاصمة لهم . وأدرك البلغار فى القرن الثامن أهمية كسب ود العناصر السلافية المستقرة فى اقلليم البلغار وتلك المستقرة فى مقدونيا من أجل اقامة دولة بلغارية قوية . وفى مطلع القرن التاسع الميلادى كان اقلليم مقدونيا منطقة حدود بين الامبراطورية البيزنطية ، ودولة بلغاريا ، فقد خضع الجزء الشرقى من مقدونيا فقط للسيادة البيزنطية . وفى منتصف القرن التاسع تحقق اندماج البلغار بالسلاف ، ونسى البلغار لغتهم التركية الأصلية واتخذوا لهجة مواطنيهم السلاف الذين كانوا يمثلون الأغلبية (٧٣) .

ان وجود دولة للبلغار فى شمال البلقان كان عاملا هاما أضعف الجهود البيزنطية فى سبيل نشر الحضارة البيزنطية بين العناصر السلافية المستقرة فى تراقيا ، ومقدونيا ، وستريمون ، واقلليم سالونيك بهدف احتوائهم داخل الكيان الامبراطورى . وكانت سياسة الامبراطورية البيزنطية تجاه البلغار بعد استقرارهم فى الاقلليم الشمالى الشرقى من شبه جزيرة البلقان ، طوال القرن الثامن الميلادى ذات شقين . الشق الأول ، حرصت الادارة البيزنطية بالدبلوماسية وبالقوة على الحيلولة دون توسع البلغار وعلى تحديد حدودهم جنوبا بحيث لاتتخطى حد جبال

72) Obolensky, Commonwealth, 64.

73) Browning, Bulgaria, 53; Angelov, Formation, 54, 55, 58.

البلقان (٧٤) . ونحن نخطت حدود دولة البلغار نطاق جبال البلقان جنوبا (٧٥) ، وهددت الممتلكات البيزنطية في تراقيا ، قائد الامبراطور قسطنطين الخامس تسع حملات عسكرية ضد بلغاريا . واذا كان الامبراطور لم ينجح في القضاء على بلغاريا نهائيا الا أنه اضعفها عسكريا ، وانكسرت بلغاريا شمالا وراء جبال البلقان (٧٦) . والشق الثاني ، حرصت الحكومة البيزنطية على اخضاع السلاف المستقرين في تراقيا ومقدونيا وستريمون وسالونيكا بالقوة للسيادة البيزنطية ، كما عملت على الحيولة دون اتحاد أو اتصال هذه العناصر السلافية بدولة

(٧٤) للمزيد عن اتفاقيات السلام بين الامبراطورية البيزنطية ودولة البلغار ، والحدود بين الدولتين في اتفاقية سنة ٦٨١ ، ومعااهدة سنة ٧٠٥ م انظر :

Besevliev, Inschriften, 57-59; Obolensky, Commonwealth, 65.

(٧٥) يلاحظ أن حدود البلغار تخطت بالفعل نطاق جبال البلقان كما يوضح هذا في اتفاقية سنة ٧١٧ م بين بيزنطة وبلغاريا . ولكن يجب الانتباه ان الامبراطورية البيزنطية كانت مضطرة لعقد هذه الاتفاقية واعطاء البلغار بعض التنازلات الاقليمية كي تتفرغ لمواجهة الخطر الاسلامي . وجدير بالذكر أن ثيوفانس لم يذكر هذه الاتفاقية في أحداث سنة ٧١٧ ، بل اثناء سرد أحداث سنة ٨١٢ م . فقد ذكر ثيوفانس أن الخان البلغاري كروم عرض على الامبراطور البيزنطي ميخائيل الاول راجاب Michael Rangab (٨٨١ — ٨١٣) مقترحات اتفاق سلام يماثل بنود اتفاقية السلام التي عقدها الامبراطور ثيودوسيوس الثالث Theodosius III (٧١٥ — ٧١٧) والبطريرك جرمانوس مع خان البلغار . انظر :

Theophanes, I, 497; Besevliev, Inschriften, 60-62.

(٧٦) ولكن الموقف تغير في عهد الامبراطور قسطنطين السادس (٧٨٠ — ٧٩٧ م) مرة أخرى ، واضطر الامبراطور الى الخروج في حملتين ضد البلغار : سنة ٧٩١ ، ٧٩٢ م . وفي الحملة الثانية الحق البلغار بالامبراطور هزيمة كبيرة ، واستطاع قسطنطين الهرب بصعوبة . ومن المرجح أن بيزنطة اضطرت الى عقد هدنة مع البلغار وتقرر بمقتضاها قيام الامبراطورية بدفع الجزية لبلغاريا . ومن المرجح أيضا أن حدود دولة البلغار تخطت مرة أخرى نطاق جبال البلقان جنوبا . انظر :

Ostrogorsky, State, 162; Besevliev, Inschriften, 65-66.

البلغار . ويتضح هذا فى الحملات التى خرجت فى الفترة الممتدة من سنة ٦٥٨ وحتى سنة ٧٨٣ لاختضاع السلاف .

ولكن القرن التاسع الميلادى شهد تطورا خطيرا فى توازن القوى فى شبه جزيرة البلقان . فقد أدى الانتصار السلحق لقوات شارلمان على الافار فى بانونيا Pannonia سنة ٧٩٦ الى انهيار ما تبقى للافار من قوة على الدانوب الأوسط (٧٧) . وفتح هذا الطريق أمام توسع البلغار غربا ، على طول نهر الدانوب ، حتى جاورت حدود بلغاريا الشمالية الغربية حدود دولة الفرنجة (٧٨) . وكانت معظم الأقاليم التى استولى عليها البلغار ، تعيش فيها عناصر سلافية . وأدى هذا التوسع الذى حققته الدولة البلغارية الى زيادة مواردها الاقتصادية وبالتالى امكانياتها العسكرية ، وأصبح الصدام العسكرى بين بيزنطة وبلغاريا أمرا لا مفر منه . وأثبت خان البلغار كروم Krum (٨٠٣ - ٨١٤) ، ومن بعده القيصر سيمون Symeon (٨٩٣ - ٩٢٧) فى الانتصارات العسكرية على الجيوش البيزنطية أن بلغاريا تستحق أن تكون ندا للإمبراطورية البيزنطية (٧٩) .

كذلك شهدت الإمبراطورية البيزنطية فى منتصف القرن التاسع بداية عصر نهضة امتد حتى الربع الأول من القرن العاشر وكان هذا العصر بحق أمجد فترة فى تاريخها الطويل . وتميزت بداية هذا العصر فى منتصف القرن التاسع الميلادى بالأحداث الاتية : تغير ميزان القوى فى الصراع البيزنطى الاسلامى على الجبهة الشرقية ، انتهاء النزاع حول عبادة الصور والايقونات باندحار اللايقونية وانتصار تقليد

77) Browning, Bulgaria, 48; Ostrogorsky, State, 173.

78) Browning, Bulgaria, 49

(٧٩) عن العلاقات البيزنطية البلغارية فى القرنين التاسع والعاشر ، انظر :

Angelov, Formation, 49-64; Browning, Bulgaria, 54-78.

تسجيل الصور والايقونات المقدسة ، النهضة الثقافية (٨٠) ، انطلاق
الطاقات التبشيرية للكنيسة والمؤسسات الديرية في شبه جزيرة البلقان
و وراء حدود الامبراطورية . و نتج عن هذه الأحداث الهامة أن أصبحت
الحكومة البيزنطية فضلا عن الكنيسة والمؤسسات الديرية في موقف
يُسمح لها بالاهتمام بالبلقان أكثر من ذي قبل . و حين اجتمعت جهود
الحكومة والكنيسة والأديرة لتحقيق في النهاية امتصاص العناصر
السلافية ، المستقرة في أقاليم جنوب البلقان ، في المجتمع البيزنطي .

لقد تركز اهتمام الحكومة البيزنطية في العمل على تدعيم نظام
التييمات وتطويره في البلقان . ف حيث وجدت التييمات وجدت السلطات
الفعالية للإدارة البيزنطية . وبدأت إدارة كل ثيم تعمل على دمج العناصر
السلافية المستقرة داخل حدوده في التنظيم الإداري والعسكري . و في
ان بداية كان اندماج السلاف في تنظيمات التييمات يسير بطيئا ، ولكن
ما أن أطل القرن التاسع الميلادي حتى أخذ يسير بخطى سريعة وتم تجنيد
العناصر السلافية في جند التييمات مع توزيع الأراضي العسكرية عليها .
وهكذا تأكدت السلطة البيزنطية على السلاف المستقرين في كل ثيم .
وكان هذا يعنى تدعيم القوة الدفاعية للامبراطورية فضلا عن زيادة
مواردها . وحتى منتصف القرن التاسع الميلادي كان عدد التييمات في
البلقان سبعة ، فعملت الحكومة البيزنطية على انشاء ثلاثة ثيمات جديدة
في النصف الثاني من هذا القرن . اثنان منها على الساحل الغربى لشبه
جزيرة البلقان لتحمى سواحل البحر الأيوني والبحر الادرياتي . ولتعمل
على اخضاع السلاف المستقرين في غرب البلقان ، وهما : ثيم نيقوبوليس

(٨٠) عن النهضة الثقافية في بيزنطة في القرن التاسع الميلادي ، انظر :

Dvornik, Byzance, 106-146; Dvornik, Les Légendes, 25-37.

Nicopolis وثيرم دالماشيا Dalmatia (٨١) وكان ثيم نيقوبوليس يضم السهل الساحلي جنوب اقليم البيروس Epirus أما ثيم دالماشيا فيقع الى الشمال من ثيم دير اخيوم Dyrrachium ، ويضم كل المراكز الساحلية الهامة على البحر الادرياتي مثل زادار Zadar (زار)، ودوبروفنيك Dubrovnik . وكان هذا الثيم هاما بالنسبة للحكومة البيزنطية لأسباب منها أنه ضم عددا من المراكز الساحلية والجزر ذات الأهمية الاستراتيجية لحماية الخط الملاحي شمالا الى البندقية التي كانت تابعة لبيزنطة في ذلك الوقت ، كما كان هذا الثيم هاما كقاعدة بحرية من أجل التصدي لهجمات المسلمين المتكررة على البحر الادرياتي . كذلك كان لهذا الثيم أهمية من أجل اخضاع السلاف المستقرين في شمال غرب البلقان ، وبث النفوذ البيزنطي في دولة كرواتيا Croatia كما انه رأس حربة لأي مشروع بيزنطي في المستقبل من أجل استرداد ايطاليا . أما الثيم الثالث فهو ثيم ستريمون Strymon ، وكان هذا الثيم يضم الجزء الجنوبي من اقليم مقدونيا الجغرافي فضلا عن الساحل الشمالي للبحر الايوني ، وكان الطريق البري الرئيسي الذي يربط القسطنطينية بروما والذي يعرف باسم طريق اجتاتيا Via Egnatia يمر فيه (٨٢) .

وهكذا نجحت الحكومة البيزنطية مع نهاية القرن التاسع الميلادي

(٨١) للمزيد عن ثيم نيقوبوليس Nicopolis انظر :
De Thematibus, 176; Oikonomidès, Préséance, 351.

بالنسبة لثيم دالماشيا Dalmatia ، يلاحظ أن قسطنطين بورفروجينيتوس Constantine Porphyrogenitus يخصص له فصلا في مؤلفه الخاص بالثيمات كما فعل بالنسبة للثيمات الأخرى ، انظر ملاحظات برتوسي Pertusi في تفسير ذلك في نفس المصدر .

De Thematibus, 41-43; Oikonomidès, Préséance, 353.

(٨٢) للمزيد عن ثيم ستريمون Strymon ، انظر :
De Thematibus, 166-168; Oikonomidès, Préséance, 352, 357.

في فرض سيطرتها الإدارية على أقاليم عديدة في البلقان من خلال سلسلة الثيمات التي أحاطت بشبه الجزيرة • في بعض هذه الثيمات مثل تراقيا وستريمون كانت سيطرة الإدارة البيزنطية تمتد في عمق المناطق الخلفية ، ولكن في بعض المناطق الخلفية لثيمات أخرى كان الوضع مختلفا • على أية حال ، إذا تصورنا أن هناك خطا يمتد من سالونيك على البحر الايجي شرقا الى ديراخيوم Dyrrachium على البحر الادرياتي غربا ، فيمكن القول أن المجتمعات السلافية المستقرة في الثيمات الواقعة جنوب هذا الخط كانت تذوب تدريجيا في تنظيم الثيمات وتنتشر في المجتمع البيزنطي • أما المجتمعات السلافية المستقرة شمال هذا الخط (باستثناء تلك المجتمعات المستقرة في تراقيا ، ستريمون ، شرق وجنوب مقدونيا) فقد كانت بعيدة عن سيطرة الإدارة البيزنطية ، وخلال القرن التاسع اندمجت في الكيانات السياسية المستقلة في شمال البلقان في بلغاريا ، دولة الصرب ، كرواتيا • ولم يتم ضم المناطق الشمالية من البلقان الا في القرن الحادي عشر الميلادي بعد فتوح الامبراطور باسيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥) الذي أدخل نظام الثيمات على أقاليم شمال البلقان (٨٣) •

ان انتهاء النزاع حول عبادة الصور والايقونات بانتصار تقليد تبجيل وعبادة الصور المقدسة في مارس سنة ٨٤٣ ، وضع نهاية لذلك الصراع الذي عصف بالكنيسة ، والحياة السياسية والاجتماعية ، واستنفد الطاقات الثقافية في الامبراطورية البيزنطية • وكان انتهاء هذا النزاع الداخلي نقطة تحول بالنسبة للجهود البيزنطية في شبه جزيرة البلقان • فقد أدى الى تحرير الطاقات الكنسية والدينية ، وأصبح في امكان الكنيسة والمؤسسات الديرية أن تركز جهودها لتكمل جهود الحكومة البيزنطية في العمل على نشر الحضارة البيزنطية بين السلاف في البلقان • وكان للرهبان دائما دور هام في المجتمع البيزنطي •

فالراهب فى نظر أهل المدينة أو القرية على حد سواء هو الرجل المقدس الذى وهب نفسه للرب ، ولهذا كان الفرد يلجأ إليه فى وقت الإزمات^(٨٤) . كذلك كان الراهب أكثر من أى فرد آخر قادرا على نقل الحضارة البيزنطية فى أفضل أشكالها^(٨٥) .

وجدير بالذكر أنه بينما كان للديرية مؤسسات قوية فى بيثينيا Bithynia فى جبل الأولب Olympus ومناطق أخرى من آسيا الصغرى ، لم تكن المؤسسات الديرية العظيمة فى القسم الأوروبى من الامبراطورية قد قامت بعد . ولا شك أن المؤسسات الديرية كانت مراكز ثقافية هامة لنشر المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية^(٨٦) . ولقد اهتمت الأديرة دائما بالعمل على نشر مبادئ الكتاب المقدس الى كل الأمم ، ولهذا لعبت الأديرة دورا هاما فى دمج العناصر السلافية فى المجتمع البيزنطى . فاعتناق الفرد للمسيحية الأرثوذكسية كان يؤدى الى تقبل لغة الكتاب المقدس الا وهى اليونانية . وكانت المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية من أهم خصائص الحضارة البيزنطية . وحتى منتصف القرن التاسع الميلادى ، كانت أعداد الرهبان قليلة فى أقاليم اليونان والبلوبونيز بسبب انشغال الديرية بالنزاع حول عبادة الايقونات . وكانت الحاجة ماسة لوجود مؤسسات ديرية قوية مثل تلك التى وجدت فى جبل الأولب فى بيثينيا Bithynia أو فى القسطنطينية . ان بطء انصهار العناصر السلافية فى المجتمع البيزنطى فى أقاليم اليونان والبلوبونيز يرجع الى بطء تطور المؤسسات الديرية هناك .

على أية حال ، تلقت سالونيك والأقليم المحيط بها مرة أخرى اهتماما كبيرا من جانب الامبراطورية البيزنطية . فموقع سالونيك كان

84) Hussey, World, 130.

85) Charanis, Monk, 63-84.

86) Charanis, Monk, 81-82.

هاما للغاية ومنها كان يمكن التأثير على المجتمعات السلافية فى شمال وجنوب البلقان . وشهد القرنان التاسع والعاشر واجدة من أعظم المؤسسات الديرية وأكثرها تأثيرا فى العالم البيزنطى الا وهى مؤسسة جبل آثوس Athos على الشان الساحلى الضيق الذى يمتد فى البحر الايجى شرق مدينة سالونيك . وكان يوحنا كولوبوس John Colobos قد حاول فى القرن التاسع إقامة أحد الأديرة هناك . ولكن المؤسسة الديرية الكبيرة لم تبدأ إلا فى سنة ٩٦١ . وبفضل تشجيع الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ - ٩٦٩) لصديقه القديس اثناسيوس St. Athanasius تم انشاء دير لافرا Lavra العظيم (٨٧) . وبفضل نشاط الكنيسة وهذه المؤسسة الديرية تحقق فى النهاية انتشار المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية بين معظم العناصر السلافية المستقرة فى أقاليم اليونان والبلويونيز فى القرن العاشر وخلال الربع الأول من القرن الحادى عشر الميلادى (٨٨) .

لم تقتصر الجهود البيزنطية على نشر المسيحية بين العناصر السلافية المستقرة فى الأقاليم البيزنطية ، وفى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى بدأت الكنيسة البيزنطية برنامجا تبشيريا واسع النطاق ، استهدف نشر المسيحية الأرثوذكسية خارج حدود الامبراطورية وخاصة بين العناصر السلافية فى بلغاريا ودولة الصرب وبين العناصر الشمالية فى اماره كيف Kiev الروسية (٨٩) . ولقد تعاونت الكنيسة والادارة

87) Hussey, *Byzantine Monasticism*, 180-181; Vlasto, *Christendom*, 298-299; Dujcev, *Mont Athos*, 121-144.

(٨٨) ولكن العناصر السلافية لقبيلتى Melingi و Ezeritae والمستقرة فى مرتفعات غرب البلويونيز احتفظت بهويتها الجنسية واللغوية حتى الفتح العثمانى فى القرن الخامس عشر ، انظر :

Georgacas, *Slavic Groups*, 301-333; Vlasto, *Christendom*, 12.

89) Obolensky, *Byzantine-Slav Relations*, 4; Obolensky, *Commonwealth*, 72.

البيزنطية معاً على تنفيذ هذا البرنامج الذى ابتداءً بتعاون البطريرك فوتيوس Photius والامبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٣ - ٨٦٧ م) والقيصر برداس Bardas (٩٠) • ولكن لاشك أن الفضل الأكبر يرجع الى البطريرك فوتيوس الذى يعتبر أعظم مفكرى وبشاعة عصره ، وأعظم دبلوماسى يشغل منصب بطريرك القسطنطينية (٩١) • لقد اعتبر فوتيوس نشر المسيحية بين الشعوب الأخرى خارج حدود الامبراطورية أحد واجباته الرئيسية • وكان اعتناق المسيحية الأرثوذكسية يعنى قبول السيادة الروحية للكنيسة القسطنطينية وكان هذا يتضمن من حيث المبدأ قبول السيادة الزمنية للامبراطورية البيزنطية (٩٢) •

أرسل فوتيوس Photius بعثات تبشيرية الى دولة الخزر Khazars والى اماره « كيف » Kiev الروسية والى مملكة مورافيا Moravia بوسط أوروبا (تدخل الان فى نطاق حدود دولة تشيكوسلوفاكيا) (٩٣) • ولم تحقق الجهود البيزنطية فى دولة الخزر نفس النجاح الذى تحقق بعد ذلك مع اماره كيف Kiev الروسية • أما البعثة التبشيرية البيزنطية التى توجهت الى مورافيا فلها أهمية خاصة • ففى العقد السادس من القرن التاسع الميلادى أدرك ملك مورافيا - وهى دولة سلافية تقع شمال الدانوب الأوسط - أن جهود اللاتين لنشر المسيحية فى دولته ، تعمل أيضاً من أجل اخضاع مورافيا لدولة الفرنجة • وفى محاولة من جانبه لوقف هذا التطور اتجه ملك مورافيا الى

90) Dvornik, Byzance, 133-146; Obolensky, Byzantine-Slav Relations, 4.

للمزيد عن حياة البطريرك فوتيوس Photius أنظر Dvornik, Photius, 1-56.

92) Browning, Bulgaria, 55.

93) Ostrogorsky, State, 203; Browning, Bulgaria, 55.

بالنسبة للسفارة البيزنطية الى دولة الخزر Kharyars سـمـنة ٨٦١ م ، انظر :

Dvornik, Les Lékendes, 178-211.

الامبراطورية البيزنطية مساعدتها في نشر المسيحية الأرثوذكسية في مملكتها (٩٤) .

وعلى الفور استجاب البطريرك فوتيوس لهذا الطلب وأرسل بعثة تبشيرية على رأسها الأخوان قسطنطين (الذي عرف بعد ذلك باسم سيريل Cyril) ومثوديوس Methodius لتعميد شعب مورافيا ولتأسيس كنيسة سلافية على مذهب كنيسة القسطنطينية (٩٥) . وكان الأخوين سيريل ومثوديوس من أبناء نيم سألونيك كما كانا عالمان من الطراز الأول . وتوصل الأخوان إلى تكوين حروف هجائية ساعدتهم على كتابة اللغة السلافية التي تتكلمها العناصر السلافية المستقرة في مقدونيا ، ثم قاما بترجمة أجزاء من الكتاب المقدس من اللغة اليونانية إلى هذه اللغة السلافية . وقد تم هذا كله قبل أن يتوجه سيريل ومثوديوس إلى مورافيا سنة ٨٦٢ / ٨٦٣ (٩٦) . وسيكون لهذا التطور الخطير الذي حدث للغة السلافية نتائج هامة بالنسبة لبulgaria .

كان اعتناق مورافيا للمسيحية له دلالة هامة بالنسبة لبulgaria التي أصبح عليها تدعيم كيائها السياسي والحضاري باعتناق المسيحية هي الأخرى . فإذا كانت مورافيا قد لجأت إلى الامبراطورية البيزنطية ، فلماذا لا تلجأ بلغاريا إلى دولة الفرنجة . وبالفعل أرسل خان البلغار بوريس

(٩٤) عن علاقة مملكة مورافيا بدولة الفرنجة والظروف التي دفعت الملك راستيسلاف Rastislav إلى طلب مساعدة بيزنطة في تأسيس كنيسة في مورافيا ، أنظر :

Dvornig, Byzance, 147-163; Dvornik, Les Légendes, 226-235; Vlasto, Christendom, 29-28.

95) Dujcev, Moravia, 219-228; Dvornik, Byzance, 164-183.

(٩٦) للمزيد عن حروف اللغة السلافية التي توصل إليها سيريل ومثوديوس Methodius أنظر :

Vlasto, Christendom, 28-48; Obolensky, Byzantine-Slav Relations, 10.

الأول Boris I (٨٥٢ — ٨٨٩) سفارة الى دولة الفرنجة . وأهدت الحكومة البيزنطية على الفور خطورة اعتناق بلغاريا للمسيحية الغربية وقيام تحالف بين دولة الفرنجة وبلغاريا وبينهما روما . وعلى الفور أرسل الامبراطور ميخائيل الثالث جيشا بيزنطيا الى بلغاريا ، كما أرسل الأسطول البيزنطي الى سواحل بلغاريا على البحر الأسود (٩٧) . ولم يكن بوريس مستعدا للحرب ، كما أن سياسة بوريس حرصت دائما على تجنب مواجهة شاملة مع الامبراطورية البيزنطية . وكانت الامبراطورية سنة ٨٦٤ في موقف عسكري جيد بعد الانتصار الكبير الذي حققه الجيش البيزنطي على جيش أمير ملطية في آسيا الصغرى سنة ٨٦٣ (٩٨) . وعلى هذا فضل بوريس الاتفاق مع بيزنطة وقبل الشروط البيزنطية التي كان أهمها التخلي عن مشروع التحالف مع الفرنجة ، واعتناق المسيحية الأرثوذكسية من قبل بيزنطة . وفي نفس العام سنة ٨٦٤ تم تعميد بوريس الذي اتخذ اسما مسيحيا الى جانب اسمه وأصبح يعرف ببورس ميخائيل (٩٩) . وأرسل بطريرك القسطنطينية فوتيوش عددا كبيرا من رجال الدين الى بلغاريا ليقوموا بتعميد البلغار وتأسيس الكنيسة البلغارية .

وكانت المشكلة التي واجهها بوريس هي كيف يمكن لبلغاريا أن تعتنق المسيحية الأرثوذكسية دون أن تخضع للسيادة البيزنطية ؟ كيف يمكن تأسيس كنيسة بلغارية مستقلة عن بطريرك القسطنطينية ؟ كيف يمكن الحيلولة دون تحكم الأيديولوجية البيزنطية في قيم المجتمع البلغاري ؟ لقد كان الاحساس بهذه المشكلة أقل في إمارة كيف Kiev

97) Dvornik, Les Légendes, 229-231; Browning, Bulgaria, 55, 146; Ostrogorsky, State, 204.

(٩٨) وسام : دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ج ١ ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

99) Obolensky, Commonwealth, 84; Ostrogorsky, State, 204; Dvornik, Les Légendes, 230; Dvornik, Byzance, 187.

الروسية ، أو قى مورافيا لبعـد المسافة بينهما وبين القسطنطينية . أما بالنسبة لبـلغاريا التي تقع مباشرة أمام الأبواب الشمالية للإمبراطورية ، فقد كان الوضع مختلفا (١٠١) . ولقد تحققت مخاوف العاهل البلغاري في تلك الرسالة أرسلها له فوتيوس بطريرك القسطنطينية سنة ٨٦٥ . لقد كانت تلك الرسالة عبارة عن محاضرة من جانب فوتيوس عن واجبات الحاكم المسيحي الذي يدين بالطاعة للكنيسة القسطنطينية ولالإمبراطور (١٠١) ولم تتضمن الرسالة أية إشارة الى موضوع الاستقلال الذاتي للكنيسة البلغارية كما هو الحال في المشروع البيزنطي بالنسبة لكنيسة مورافيا (١٠٢) . وكان الخلاف — في ذلك الوقت — على أشده بين بطريرك القسطنطينية فوتيوس وبين بابا روما نيقولا الأول Nicholas . ورأى بوريس أن يستثمر هذا الخلاف بالاتجاه إلى روما لمساعدته على تأسيس كنيسة بلغارية مستقلة استقلالاً ذاتياً . وهكذا اتجهت سياسة بوريس في الفترة من سنة ٨٦٦ وحتى سنة ٨٧٠ إلى روما من أجل تحقيق هذه الغاية (١٠٣) . وبالطبع رحبت البابوية بمطالب

100) . Browning Bulgaria, 145.

المسيحية وأهمية المجامع المسكونية وعددها ، وواجبات الحاكم المسيحي .
انظر النص الكامل لهذه الرسالة الطويلة .
Photius, Epistola, Cols, 627-696.

وانظر أيضا :

Dvornik, Byzance, 190.

102) Browning, Bulgaria, 147.

(١٠٣) للمزيد عن الخلاف العنيف بين فوتيوس بطريرك القسطنطينية ونيقولا الأول بابا روما ، وكيف حاول القيصر البلغاري استثمار هذا الخلاف ، انظر :

Dvornik, Schisme, 144-195.

كذلك اتجه بوريس إلى دولة الفرنجة وأرسل سفارة إلى لويس الألماني ، ملك القسم الشرقي من دولة الفرنجة ، يطلب إرسال رجال دين من قبله ، انظر :

Dvornik, Byzance, 191; Browning, Bulgaria, 148.

بلغاريا وأرسلت على الفور عددا من رجال الدين اللاتين لاقامة الكنيسة البلغارية^(١٠٤) . ولكن روما تجاهلت باستمرار مطلب بوريس الخاص بالوضع شبه المستقل للكنيسة البلغارية ، كما رفضت مقترحاته بخصوص شغل وظيفة رئيس اساقفة بلغاريا^(١٠٥) .

وخلال الفترة الممتدة بين سنة ٨٦٦ و ٨٧٠ حدثت تطورات هامة كان لها أثر كبير على مستقبل الكنيسة البلغارية . ففي سنة ٨٦٧ اعتلى العرش البيزنطى الامبراطور باسيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦) بعد مقتل ميخائيل الثالث . وقام باسيل الأول بعزل فوتيوس من منصب بطريرك القسطنطينية وأعاد غريمه اجناطيوس Ignatius . وتبع ذلك اعتقاد مجمع دينى فى القسطنطينية فى أكتوبر سنة ٨٦٩ لرأب الصدع انذى أصاب الكنيسة ولازالة كل أسباب الخلاف الدينى الذى نشب بين روما والقسطنطينية خلال بطريركية فوتيوس^(١٠٦) . وأدرك بوريس

(١٠٤) لا نعلم على وجه التحديد محتوى رسالة القيصر البلغارى الى بابا روما ، ولكن رد البابا نيقولا الاول على هذه الرسالة قد وصلنا بالكامل . ويتضمن هذا الرد الاجابة على ١٠٦ سؤال فى شئون المسيحية والتنظيم الكنسى . للمزيد عن رد بابا روما على رسالة القيصر البلغارى ، انظر :

Dujcev, Die Responsa, 349-362; Obolensky, Commonwealth, 87-92.

(١٠٥) فى منتصف عام ٨٦٩ اقترح القيصر بوريس على البابا هادريان الثانى (٨٦٧ - ٨٧٢) بعض الأسماء (من بين أعضاء الوفد البابوى فى بلغاريا) لشغل وظيفة رئيس اساقفة بلغاريا . ولكن البابا تجاهل المطالب البلغارية ، على اعتبار أن اختيار شخص رئيس الاساقفة من حق البابا وحده ، انظر :

(١٠٦) كان الامبراطور باسيل الاول حريصا على اقامة علاقات طيبة مع الغرب وخصوصا مع البابوية . وبعد أن عزل الامبراطور البطريرك فوتيوس ، أرسل سفارته الاولى الى البابا هادريان الثانى . وتم الاتفاق على عقد مجمع دينى فى القسطنطينية لتصفية كل الخلافات بين الكنيستين الشرقية والغربية . ويعتبر هذا المجمع - الذى انعقد خلال الفترة الممتدة من أكتوبر سنة ٨٦٩ الى مارس سنة ٨٧٠ - بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية هو المجمع المسكونى الثامن . للمزيد عن هذا المجمع ، انظر :

Dvornik, Schisme, 204-229; Vlasto, Christendom, 162.

أن روما والقسطنطينية في طريق تصفية خلافتهما ، وأنه لم يعد هناك جديد يمكن لروما تقديمه • وعلى هذا دخل في مفاوضات مع الامبراطور باسيل الأول والبطريرك اجناثيوس • وقبل انتهاء المجمع الديني المنعقد في القسطنطينية من دورة انعقاده الأخيرة ، وصل وفد بلغاري ودعى المجمع الى الفصل في موضوع تبعية الكنيسة البلغارية ولمن تجوز لروما أم للقسطنطينية • وبعد نقاش حاد ، وبفضل موقف البطريركيات الشرقية الثلاث ، قرر المجمع أن الكنيسة البلغارية تقع في نطاق نفوذ كنيسة القسطنطينية • وكان هناك اتفاق ضمنى يعطى لهذه الكنيسة امتياز الاستقلال الداخلي^(١٠٧) • ولم يكن أمام المندوب البابوي سوى قبول قرار المجمع بخصوص بلغاريا • ونتج عن هذا رحيل رجال الدين اللاتين عن بلغاريا ، وعودة رجال الدين البيزنطيين • وأصدر البطريرك اجناثيوس قراراً بتعيين رئيس أساقفة لبلغاريا ، وقد وصل بالفعل الى بليسكا Pliska في أواخر سنة ٨٧٠^(١٠٨) • وهكذا حقق بورييس انتصاراً جزئياً في سعيه من أجل بناء كنيسة بلغارية لها استقلالها الذاتي •

ومنذ ذلك الوقت بدأ بالفعل التنظيم الحقيقي للكنيسة البلغارية • وأخذ بناء الكنائس ينتشر في كل اقاليم بلغاريا ، كذلك تم بناء مؤسسة ديرية في شمال شرق بلغاريا^(١٠٩) • ويلاحظ أن كل هذا النشاط التنظيمي للكنيسة البلغارية قد تم باللغة اليونانية • فكبار رجال الدين في الكنيسة البلغارية ، حتى لو كانوا من أبناء بلغاريا ، كانوا رجالاً تلقوا تعليمهم

107) Dvornik, Schisme, 123-124; Browning, Bulgaria, 151-152.

(١٠٨) لاتعرف على وجه التحديد اسم رئيس أساقفة بلغاريا • ومن المحتمل أنه كان أحد أبناء الجالية اليونانية في بلغاريا • انظر : Vlasto, Christendom, 162.

و يرى البعض أن الاتفاق على شخص رئيس أساقفة بلغاريا تم خلال المجمع الديني وبموافقة الجميع ، نظر :

Browning, Bulgaria, 152.

109) Browning, Bulgaria, 153.

لسنوات طويلة فى القسطنطينية • وكان بوريس يخشى تأثير الحضارة البيزنطية على أولئك الرجال الذين وقع على عاتقهم نهضة بلغاريا الحضارية • ولنا أن نتصور الفجوة الكبيرة بين هذه الصفوة المثقفة وبين الأغلبية الأمية من سكان بلغاريا ، وكيف كان هؤلاء الرجال يباشرون القداس الدينى ويقرأون الكتاب المقدس بلغة أجنبية هى اليونانية التى لايفهمها أغلبية السكان • لاشك أن هذا من أسباب بطء انتشار المسيحية بين سكان القرى البلغارية التى استمر بعضهم يمارس الوثنية حتى نهاية القرن التاسع الميلادى •

وكانت الأخبار تصل بلغاريا تباعا بخصوص ما كان يجرى بعيدا قى مملكة مورافيا ، والعجاج الذى حققه فى البداية الاخوان سيريل Cyril ومثودىوس Methodius هناك (١١٠) وكان بوريس يدرك بلاشك أن اتخاذ اللغة السلافية بدلا من اليونانية كلغة للكنيسة البلغارية له أهمية كبرى وان استخدم اللغة السلافية ، التى يتكلمها أغلبية سكان بلغاريا ، فى الطقوس الدينية للكنيسة البلغارية سيؤدى الى انتشار المسيحية بين أهل القرى فى بلغاريا كما سيؤدى الى القضاء على خطر انتشار اللغة اليونانية ، فضلا عن هذا وذاك فان الاستقلال الشكلى للكنيسة البلغارية يصبح حقيقة (١١١) •

على أية حال ، أدى تغلب الاتجاه اللاتينى فى مملكة مورافيا فى العقد الثامن من القرن التاسع الميلادى ، الى طرد تلاميذ الاخوين سيريل ومثودىوس • وكانت هذه فرصة العاهل البلغارى ، الذى سارع بالاتصال بهم وفتح أمامهم أبواب دولته • وبالفعل وصل تلاميذ الاخوين وعلى رأسهم كلمنت Clement وناوم Naum الى حدود بلغاريا سنة ٨٨٥ / ٨٨٦ ، واستقبلهم بعد ذلك بوريس ، ووضع تحت تصرفهم

(١١٠) عن نشاط الاخوين سيريل ومثودىوس فى مورافيا، انظر :
Dujcev, Moravia, 219-228.

(111) Browning, Bulgaria, 154; Vlasto, Christendom, 163.

إمكانات معالجة لتحقيق هدف عزيز الأمل وهو تطوير اللغة السلافية واتخاذها لغة الكنيسة، البلغارية (١١٢) نمو على الفونو أقام Naum مركزا تعليميا على النمط الجديد لعامل البلغار في برسلاف Preslav كما أقيم كمنسك مركزا آخر في أوجريد Ochrid في غرب لغليم مقدونيا . وكان الخط الأول والمهم هو الإعداد السريع للرجال الذين يتكلمون اللغة السلافية ، والقيام بتسخير الترجمات التي تظم بلغ ميريل و هيرميونين وهي ترجمات للكتاب المقدس والطقوس الدينية من اليونانية إلى السلافية . فضلا عن هذا أعداد ترجمات جديدة .

وفي خريف سنة ٨٩٣ وبعد أن نجح بوريس في القضاء على ثورة مضادة لانتشار المسيحية في بلغاريا ، أعلن العامل البلغاري في اجتماع ضم رجال الدولة قرارات هامة ، منها اعتزاله العرش وتعيين ابنه الأصغر سيميون Symeon قيصر بلغاريا . كما تقرر رسميا نقل العاصمة البلغارية من بليسكا Pliska إلى برسلاف . وأهم من هذا وذلك أصدر بوريس قرارا رسميا باعتبار اللغة السلافية اللغة الرسمية للكنيسة والدولة على حد سواء (١١٣) . ومن الجدير بالذكر أنه حتى صدور هذا القرار كانت اللغة اليونانية منذ أيام الخان اسبروخ Asparuch هي اللغة التي استخدمها البلغار في اتصالاتهم الخارجية ، وأحيانا في المراسلات الرسمية داخل دولة البلغار كلما دعت الضرورة . وبعد صدور قرار اتخاذ اللغة السلافية لغة رسمية للكنيسة والدولة ، يمكن القول أن التطور الذي بدأ باتحاد العناصر البلغارية التركية بالعناصر السلافية التي شكلت الأغلبية في بلغاريا قد اكتمل وأصبحت بلغاريا دولة سلافية (١١٤) .

112) Obolonesky, Commonwealth, 95-96; Browning, Bulgaria, 154-155; Angelov, Formation, 57.

Browning, Bulgaria, 158; Angelov, Formation, 57; Obolensky, Commonwealth, 97.

114) Angelov, Formation, 57-58.

Dujcev, L'Etat Bulgare, 224.

وانظر أيضا :

ان توصل الاخوين سيريل ومثوديوس الى تكوين جروف هجائية للغة السلافية لأول مرة وتطور هذه اللغة بعد ذلك على يد كلمنت وناوم Naum ، قد حد من نجاح بيزنطة في فرض كل عناصر الحضارة البيزنطية على الكيانات السياسية السلافية المستقلة في شمال البلقان . حقيقة لقد أدى تحول بلغاريا الى المسيحية الأرثوذكسية بغضل جهود الامبراطورية في عهد ميخائيل الثالث وباسيل الأول ، التي دخول بلغاريا دائرة الحضارة البيزنطية . ولكن اتخاذا البلغار للغة السلافية لغة رسمية للكنيسة والدولة حال تماما دون انتشار اللغة اليونانية في بلغاريا من خلال الكنيسة .

استمرت جهود الحكومة البيزنطية من أجل استرداد سيادتها على شبه جزيرة البلقان من عهد باسيل الأول المقدوني وحتى عهد باسيل الثاني « سفاح البلغار » . ومن أجل تحقيق هذه الغاية استعملت بيزنطة القوة العسكرية والبعثات التبشيرية في إخضاع الدول السلافية المستقلة في شمال وشرق غرب البلقان . والمهوف أن حدود بلغاريا الغربية كانت تتأخم دولة الصرب . وكانت عناصر الضرب السلافية قد استقرت منذ القرن السابع الميلادي في مجتمعات متناثرة حول وديان الاقليم الجبلي الواقع جنوب الدانوب الأوسط ، وهو اقليم تجرى فيه الروافد الجنوبية لنهر السافا Sava . وكان هذا الاقليم يعرف في العصور الوسطى باسم راسكا (Raskia راسكا) (٢٥) . وكان لبيزنطة سيادة اسمية على الصرب وعلى القبائل السلافية الأخرى المستقرة جنوب دولة الصرب حتى عهد الامبراطور ميخائيل الثاني (٨٢٠ - ٨٢٩) ، حين تخلص الصرب والسلاف من سيادة بيزنطة الاسمية وأصبحوا مستقلين كما يروى أحد المصادر البيزنطية في القرن

العاشر (١١٦) وفي النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي ، أدرك حاكم الصرب ان البقاء على الوثنية يعوق التقدم السياسي والحضارى لدولة الصرب ، تماما كما أدرك خان البلغار من قبل (١١٧) وفي بداية عهد باسيل الأول أرسل حاكم الصرب سفارة الى القسطنطينية تعلن خضوع الصرب للسيادة البيزنطية ورغبتها فى اعتناق المسيحية على مذهب كنيسة القسطنطينية . وبالطبع استجابت الحكومة البيزنطية لمطالب الصرب (١١٨) . وكانت الادارة البيزنطية ترى أن اعتناق دولة الصرب للمسيحية الأرثوذكسية سيؤدى الى تبعيتها للإمبراطورية ، لأن التبعية الروحية لبطريك القسطنطينية تتضمن من حيث المبدأ التبعية السياسية للإمبراطور

(١١٦) أفرد الإمبراطور قسطنطين السابع فصلا كاملا عن « اتليسم دالماشيا والأمم السلافية المجاورة له » ، وهو الفصل رقم (٢٩٦) فى مؤلفه الخاص بالادارة الإمبراطورية De Administrando Imperio . ويعتبر هذا الفصل هاما لأنه يقدم مادة تاريخية قيمة عن التاريخ المبكر لدولتى الصرب والكروات فضلا عن القبائل السلافية الأخرى المستقرة على ساحل البحر الادرياتي ، انظر :

DAI, I, ch. 29, 124.

وانظر أيضا الجزء الثانى من هذا المصدر الذى يتضمن تعليقات هامة من قبل بعض المؤرخين المحدثين :

DAI, II, 94-101.

(١١٧) تشير المصادر البيزنطية الى أن عناصر الصرب ظلت على وثنيتهما ورفضت باستمرار محاولات الإمبراطورية لكسب ودها أو اخضاعها .

انظر الفصل الخاص بحياة الإمبراطور باسيل الأول Vita Basili

Theophanes Con., 288-289.

والرجح أن مؤلف هذا الفصل الخاص بحياة الإمبراطور باسيل الأول والذى يحمل رقم (٥) فى المصدر سابق الذكر ، هو حفيد باسيل الأول ، الإمبراطور قسطنطين السابع . انظر :

Moravcsik, Byzantinoturcica, I, 380.

118) Theophanes Cont., 291-292.

وانظر أيضا :

Dujcev, Serbes, 53-60.

لقد تبنت الحكومة البيزنطية هذه النظرية مع بلغاريا من قبل • ولكن إذا كان الباغرا بعد تحولهم للمسيحية الأرثوذكسية قد ظلوا مستقلين سياسيا ، فإن بيزنطة كانت حريصة على ألا يتكرر هذا بالنسبة لدولة الصرب •

ومن المرجح أن تبادل السفارات بين دولة الصرب والامبراطورية البيزنطية ، وتحول الصرب النهائي للمسيحية الأرثوذكسية ، قد حدث في الفترة الممتدة من سنة ٨٦٧ وحتى سنة ٨٧٤ (١١٩) • ولقد أدى تحول دولة الصرب الى المسيحية فضلا عن اعتناق القبائل السلافية الأخرى للمسيحية في شمال غرب البلقان بفضل نشاط البعثات التبشيرية التي أرسلتها كنيسة القسطنطينية ، الى تعزيز مركز الامبراطورية في شمال غرب شبه الجزيرة ، كما أدى إنشاء ثيم دالماتيا كما سبقت الإشارة الى تدعيم مركز الامبراطورية على ساحل البحر الادرياتي •

ورغم أن ثيم دالماتيا قد دعم مركز بيزنطة على ساحل البحر الادرياتي طوال القرنين التاليين فيجب ألا ننسى ان الادارة البيزنطية هناك كانت قاصرة على المراكز الحصينة على الساحل • وكانت هذه المراكز الحصينة قليلة ومتباعدة ، ويحيط بها مجتمعات سلافية لم يكن لبيزنطة دائما عليها سلطان • ففي أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان ، استقرت عناصر الكروات السلافية منذ القرن السابع الميلادي بين نهر درافا Drava والبحر الادرياتي شمال ثيم دالماتيا • وكانت عناصر الكروات تنقسم الى مجموعتين رئيسيتين : كروات دالماتيا المستقرين جنوب نهر السافا Sava ، وكروات باتونيا Pannonia المستقرين شمال نهر السافا (١٢٠) • وكانت علاقة الامبراطورية البيزنطية

119) Dujcev, Serbes, 60.

120) Obolensky, Commonwealth, 100.

بالكروات متوقعة على مركز الامبراطورية ونفوذها على ساحل البحر الادرياتي . والمعروفه ان توسع هولاء الفرنجة يهددنا قد أدى الى خضوع كروات بانونيا لشارلمان في السنوات الأخيرة من القرن الثامن الميلادي . ففي ذلك الوقت سيطر الفرنجة على الاقليم المتدبين نهري السافا Sava و درافا Drava حتى الدانوب الأوسط (١٢١) .

أما كروات دالماتيا فقد تخلصوا من سيادة بيزنطة الاسمية وأعلنوا تبعيتهم أيضا لشارلمان سنة ٨٠٣ ، ثم تنازلت بيزنطة عن سيادتها الاسمية على هذا الاقليم بعد ذلك للفرنجة بمقتضى معاهدة آخن Achen سنة ٨١٢ ، ولكنها احتفظت بسيادتها على المراكز الحصينة على ساحل دالماتيا والجزر المقابلة لهذا الساحل (١٢٢) ، وهو ما تحول بعد ذلك في النصف الثاني للقرن التاسع الميلادي الى ثيم دالماتيا . ومن المرجح أن عناصر الكروات أخذت تتحول الى المسيحية بفضل نشاط البعثات التبشيرية اللاتينية واهتمام البابوية في هذه الفترة المبكرة من القرن التاسع (١٢٣) .

وفي عهد الامبراطور باسيل الأول حظى ساحل دالماتيا باهتمام الحكومة البيزنطية بسبب تهديد العرب المستمر للمراكز الساحلية البيزنطية هناك ، وقامت الحكومة البيزنطية بانشاء ثيم دالماتيا الذي

(١٢١) من المرجح أن خضوع كروات بانونيا Pannonia لشارلمان حدث سنة ٧٩٥ ، انظر :

Vlasto, Christendom, 189.

(١٢٢) ترجع أهمية هذه المعاهدة الى أنها حددت بوضوح حدود الامبراطورية البيزنطية ودولة الفرنجة ومناطق نفوذها في شمال غرب البلقان . انظر :

Vlasto, Christendom, 18-190; Obolensky, Commonwealth, 100.

(١٢٣) للمزيد عن نشاط البعثات التبشيرية اللاتينية في كرواتيا ، انظر :

Vlasto, Christendom, 191-194.

دعم من مركز ونفوذ الامبراطورية البيزنطية فى شمال غرب البلقان وعلى طول ساحل البحر الادرياتي • ونتج عن ازدياد النفوذ البيزنطى فى الربع الأخير من القرن التاسع على طول سواحل البحر الادرياتي ، قيام زد سلاف Zdeslav حاكم كروات دالماتيا بالاعتراف بالسيادة البيزنطية وأعلن تبعية كنيسته لبطريك القسطنطينية سنة ٨٧٨ (١٢٤) وبدأ وكأن سيادة بيزنطة السياسية ونفوذها الدينى سيمتد شمالا الى استرىا Istria فى أقصى شمال ساحل البحر الادرياتي • ولكن النجاح البيزنطى فى كرواتيا كان قصير المدى • فبعد عام واحد انتشر التيار المؤيد للغرب اللاتينى بفضل نشاط رجال الدين اللاتين ، وبعد مقتل زدسلاف Zdeslav تولى برانيمير Branimir الحكم فى كرواتيا التى عادت الى تبعية كنيسة روما (١٢٥) • ورغم السياسة المستقلة التى اتبعتها حكام كرواتيا الا أن الامبراطورية كان لها بعض النفوذ فى منتصف القرن العاشر •

ان نشاط البعثات التبشيرية والنجاح الذى حققته يعتبر أحد الانجازات الهامة للامبراطورية البيزنطية فى القرن التاسع • واذا كانت الجهود البيزنطية قد فشلت فى مورافيا التى عادت الى تبعية كنيسة روما ، فان النجاح البيزنطى كان واضحا فى بلغاريا ودولة الصرب ، ومع العناصر السلافية المستقرة فى غرب مقدونيا • لقد اعتنق الجميع المسيحية على مذهب كنيسة القسطنطينية واكتسبوا بهذا أحد عناصر الحضارة البيزنطية •

ولكن التطور الذى حققته اللغة السلافية التى أصبحت اللغة الثالثة فى أوروبا العصور الوسطى (١٢٦) ، واتخاذ بلغاريا هذه اللغة واكتمال الشخصية السلافية للدولة البلغارية ، كان خطرا كبيرا هدد المصالح

Obolensky, *Commonwealth*, 100; Ostrogorsky, *State*, 210.

125) Vlasto, *Christendom*, 194.

126) Obolensky, *Byzantine-Slav Relations*, 10.

البيزنطية في البلقان طوال القرن العاشر الميلادي . فقد أدى اكتمال الشخصية السلافية لهذه الدولة أن أصبحت مركزا هاما لجذب واستقطاب العناصر السلافية المستقرة خارج حدود دولة البلغار . ولو ظلت بلغاريا الجارة القوية للامبراطورية البيزنطية في الشمال متمركزة حول مدينتي بليسكا Pliska وبرسلاف Preslav شمال نطاق جبال البلقان ، فلربما كان الخطر محدودا . ولكن توسع بلغاريا غربا في القرن التاسع وانشاء مركز تعليمي للغة السلافية في مدينة أوخريد Ochrid بغرب مقدونيا تحت سيطرة قياصرة بلغاريا الأقوياء كان خطرا يهدد جهود بيزنطة لامتصاص العناصر السلافية المستقرة في مقدونيا داخل الكيان الامبراطوري . كذلك كان مثل هذا المركز الجنوبي للغة السلافية المدعم من قبل دولة قوية كبلغاريا يستدعي القضاء على الكثير من الانجازات التي تمت بالنسبة لامتصاص العناصر السلافية المستقرة في اقليم سالونيك وأقاليم اليونان . وكانت تلك الانجازات البيزنطية قد تحققت بعد جهد كبير وكانت أيضا لاتزال غير مكتملة .

وتأكدت هذه المخاطر في الربع الأول من القرن العاشر الميلادي ، حين قام قيصر بلغاريا الطموح سيميون Symeon باجتياح الأقاليم البيزنطية في البلقان وتقدم جنوبا عبر أقاليم اليونان حتى خليج كورنثا، بل وحاصر العاصمة البيزنطية نفسها أكثر من مرة (١٢٧) . ويلاحظ أن طموح القيصر سيميون لم يقتصر على تكوين امبراطورية بلغارية داخل حدود اقليمية تجاوز الامبراطورية البيزنطية ، لقد بلغ طموح هذا القيصر البلغاري حد التفكير في خلق امبراطورية عالمية جديدة تحل محل

(١٢٧) للمزيد عن حروب القيصر سيميون ضد الامبراطورية البيزنطية انظر :

Browning, Bulgaria, 62-67; Obolensky, Commonwealth, 105-113;
Ostrogorsky State, 231-236.

الامبراطورية البيزنطية (١٢٨) . واستطاع القيصر سيميون بفضل انتصاراته المتوالية ، واخضاعه لدولة الصرب ، وبسبب انضمام بعض العناصر السلافية المستقرة في الأقاليم البيزنطية اليه ، أن يكون امبراطورية وان يصبح بحق سيد شبه جزيرة البلقان .

لقد اجتازت بيزنطة محنة الخطر البلغاري بصعوبة ، وبعد وفاة سيميون سنة ٩٢٧ مرت بلغاريا بمرحلة ضعف بعد أن انهكتها حروب سيميون الطويلة . وسادت العلاقات السلمية بينها وبين الامبراطورية قرابة الأربعين عاما . ولكن الهجوم الروسي على بلغاريا سنة ٩٦٨ بدعوة من الامبراطور نقفور فوقاس ، أدى الى خلق مشكلة خطيرة للادارة البيزنطية في شمال شرق البلقان بعد أن أصبح أمير كيف Kiev الروسي سيدا على بلغاريا (١٢٩) . وبفضل براعة الامبراطور يوحنا

128) Ostrogorsky, State, 232.

(١٢٩) في سنة ٩٦٥ توفت ماريا ليكابينا Maria Lecapena حفيدة الامبراطور رومانوس ليكابينوس ، وزوجة القيصر البلغاري الضعيف بطرس (٩٢٧ — ٩٦٩ م) والعقب ذلك وقوع القيصر البلغاري تحت تأثير بعض العناصر المعادية لبيزنطة في بلغاريا . وتحت تأثير هؤلاء ، ارسل بطرس سفارة الى العاصمة البيزنطية لاستلام الجزية التي كانت بيزنطة تدفعها أحيانا حسب اتفاقية رومانوس ليكابينوس والقيصر بطرس ، وهي الاتفاقية التي رتبت زواج بطرس من حفيدة الامبراطور سنة ٩٢٨ . على أية حال ، حين وصلت سفارة البلغار الى العاصمة البيزنطية ، كانت الظروف قد تغيرت وبدأت الامبراطورية عصر قوة وتوسع في الشرق في عهد الامبراطور نقفور فوقاس . ولم يتصور نقفور أن تقوم الامبراطورية بدفع جزية لهؤلاء البرابرة وقام بطرد السفراء البلغار . وتوقعا لنشوب حرب مع بلغاريا ، قرر نقفور توجيه الضربة الأولى . وبالفعل ارسل الامبراطور جيشا الى حدود بلغاريا ، ثم غير رأيه وقرر الاستعانة بالروس لاداء هذه المهمة . وارسل الامبراطور سفارة الى سفياتسلاف Sviatoslav أمير كيف Kiev الروي ، ومعها ١٥٠٠ رطل من الذهب كهدية مقابل غزو بلغاريا . وبالفعل استجاب الأمير الروسي وعبر الدانوب وهزم البلغار ، ولكنه رفض العودة

تريميمسكس John Tzimiskes (٩٦٩ - ٩٧٦) استطاع الجيش البيزنطى هزيمة الروم وطردهم من البلقان (١٢٠٢) • ولم تعترف بيزنطة ببلغاريا ، بل قامت بضم دولة بلغاريا الى الكيان الامبراطورى • وتبع ذلك المغاع المستعبد الكنيسته البلغارية (١٢١) •

ان ما أنجزته الحكومة البيزنطية فى عهد الامبراطور يوحنا تريميمسكس فى بلغاريا ، اقتصر على القسم الشرقى من بلغاريا اما القسم الغربى الذى يضم غرب مقدونيا فقد كان بعيدا عن كل هذه الأحداث • وأدى ضم شرق بلغاريا الى الكيان الامبراطورى الى انتقال مركز دولة البلغار الى غرب مقدونيا بالقرب من اقليم سالونيك واثباتهم اليونان • وحين اندلعت ثورة البلغار فى غرب بلغاريا بقيادة صمويل Samuel سنة ٩٧٦م ، شكلت بلغاريا تهديدا أكبر من ذى قبل للسيادة البيزنطية على أقاليم اليونان • وكان مركز دولة صمويل فى غرب مقدونيا فى برسبا Prespa أولا وبعد ذلك فى أوخريد Ochrid (١٢٢) وكان هذا يعنى أن بلغاريا تستطيع ضرب الأقاليم الحيوية للامبراطورية فى اليونان وعلى سواحل البحر الادرياتي • ولما شك ان صمويل للبلغارى استفاد من انشغال الحكومة البيزنطية بالتصدي للاثورات الداخلية فى آسيا الصغرى خلال السنوات الثلاث عشرة الأولى

الى بلاده بعد أن أدى المهمة • وأدرك نقفور فداحة الخطأ الذى ارتكبه • وبعد مقتل نقفور فوقاس سنة ٩٦٩ ، أعلى يوحنا تريميمسكس العرش البيزنطى وأصبح عليه تسوية خطأ سلفه • انظر :

Browning, Bulgaria, 70-72; Ostrogorsky, State, 259; Obolensky, Commonwealth, 128.

(١٣٠) وسام : دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ،

ج ١ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٨ •

131) Browning, Bulgaria, 72-73; Ostrogorsky, State, 262-263; Obolensky, Commonwealth, 129-131.

132) Obolensky, Commonwealth, 131.

من حكم الامبراطور باسيل الثانى ، كما استفاد من انضمام بعض العناصر السلافية المستقرة فى اقاليم اليونان اليه • واستطاع البلغار اسنرداد مدينتى بليبيكا وبرسلاف فى شرق بلغاريا ، ثم اجتاحت البلغار اقاليم اليونان وشبه جزيرة البلوينيز ونجحوا فى الاستيلاء على بعض المدن والمراكز البيزنطية ولكن محاولات الاستيلاء على سالونيك باءت بالفشل •

وأمام هذا الخطر الداهم استخدم الامبراطور باسيل الثانى كل موارد الامبراطورية فى حرب طويلة من أجل تدمير تلك الدولة القوية التى أراد صمويل اقامتها • وبعد الانتصار الساحق الذى حققه الامبراطور على البلغار فى المعركة الفاصلة من أجل السيادة على مقدونيا والتى وقعت فى ٢٩ من يوليو سنة ١٠١٤ ، توفى القيصر صمويل • وواصل الامبراطور الاستيلاء على معاقل البلغار • واشتهدت الحرب بانتصار باسيل الثانى سنة ١٠١٨ ودخل الامبراطور مدينة اوخريد Ochrid عاصمة الدولة البلغارية ، وهناك استسلم له كل من تبقى على قيد الحياة من أفراد أسرة صمويل • وهكذا اقتضى أعنف صراع شهدته شبه جزيرة البلقان فى العصر الوسيط ، فبعد حرب دامت قرابة الثلاثين عاما استردت بيزنطة سيادتها كاملة على شبه جزيرة البلقان بعد أن قضت على دولة البلغار •

وبضم بلغاريا الى الكيان الامبراطورى ، تحولت أراضيها الى اقاليم بيزنطية سرعان ما طبق عليها نظام التيمات ، كما أصبح سكانها رعايا امبراطور القسطنطينية (١٣٣) • ولكن هذا لم يكن يعنى العودة الى عصر

(١٣٣) قامت الادارة البيزنطية بتقسيم اقاليم دولة البلغار الى تيمات جديدة هى : تيم بلغاريا وقاعدته سكوبلج Skoplje فى غرب مقدونيا • تيم باريستريون Paristrion (ويعرف أيضا باسم Paradunavon) ويضم الاقليم الممتد بين الدانوب الأدنى وجبال البلقان وقاعدته سيلسترا

جسمائين قبل الغزو السلافي للبalkan في وجود بلغاريا في شبه جزيرة البalkan في الفترة من ٤٤٥م وحتى ٤٨٠م الممثلة بفترة قصيرة في البalkan وترك آثارا . كذلك يجب ألا ننسى أن الحكومة البيزنطية بعد استرداد سيادتها على البalkan سنة ٤٨٠م أثبتت أقاليم الصرب والكروات في ظل حكم امراءها المحليين الذين اعترفوا بسيادة الامبراطور ، ولكن القضاة على دولة البلغار كان له نتيجة ايجابية وهامة ، لقد تأكد بهذا العمل نجاح الجهود البيزنطية بالنسبة لامتناس العنصر السلافية في أقاليم اليونان في المجتمع البيزنطي . فلم تعد هناك قوة سلافية يستطيع السلاف الاتجاه اليها . وعلى هذا فان الانصهار النهائي للعناصر السلافية المستقرة في أقاليم اليونان والبلوبونيز قد اكتمل بعد سنة ١٠١٨ . أما بالنسبة للأقاليم التي كانت تشكل دولة بلغاريا فان هذا التطور لم يحدث . ويمكن القول ان الحدود الجنوبية لدولة البلغار في عهد القيصر سيمون ظلت تشكل الحد الشمالي للسان اليوناني . ورغم أن بلغاريا أصبحت ولاية بيزنطية منذ سنة ١٠١٨ وحتى نهاية القرن الثاني عشر ، الا أن البلغار احتفظوا بلغتهم السلافية ، واشعارهم وأساطيرهم وأغانيهم وتقاليدهم وأسلوب حياتهم وذكريات ماضيهم^(١٣٤) . حقيقة لقد حدث تزاوج بين عائلات الارستقراطية البلغارية والعائلات البيزنطية ، ولكن هذا كان على نطاق ضيق . ورغم أن اللغة اليونانية كانت معروفة في مدن بلغاريا طوال فترة الحكم

Silistria = على نهر الدانوب . ثيم سيرميوم Sirmium في أقصى الشمال وقاعدته سيرميوم على نهر السافا Sava ، وربما ضم مدينة بلجراد Belgrad التي تقع عند ملتقى الدانوب بنهر السافا . كذلك قامت الحكومة البيزنطية بتدعيم ثيم دالماتيا باضافة الاقليم الخلفي له . بالنسبة لأقاليم الصرب والكروات فقد أبقي بأسبيل الثاني عليها تحت حكم امرائها المحليين في ظل السيادة البيزنطية . انظر :

Ostrogorsky, State, 276-277; Obolensky, Commonwealth, 209-210.
134) Browning, Bulgaria, 76.

البيزنطى ، إلا أن الزائر البيزنطى لولاية بلغاريا كان يدرك على الفور أنه فى أرض أجنبية لأن أهلها يتكلمون لغة أجنبية •

لقد نجحت الحكومة البيزنطية بعد جهد كبير ووقت طويل فى علاج أزمة الغزو السلافى واستردت سيادتها كاملة على شبه جزيرة البلقان ، إلا أن صورة البلقان فى مطلع القرن الحادى عشر ظلت مختلفة عن صورته فى مطلع القرن السادس الميلادى •

قائمة

المصادر والمراجع والمختصرات

- AASS** : Acta Sanctorum. Antwerp 1643 ff.
- AHR** : American Historical Review.
- An Boll** : Analecta Bollandiana. Bruxelles 1882 ff.
- Angelov, Formation** : D. Angeliv, «Formation and Development of of the Bulgarian Nationality: Ninth to Twelfth Centuries», **BHR**, 1 (1973), 49-64.
- AUS** : Annuaire de l'Université de Sofia. Faculté de Philosophie et Histoire.
- Barisic, Miracles de St. Démétrius** :
F. Barisic, **Miracles de St. Démétrius comme Source historique** (Belgrade, 19953).
- Barasic, Siège de Constantinople** : F. Barisic, «Le siège de Constantinople par les Avars et les Slaven en 626», **B**, 24 (1954), 371-395.
- Besevlier, Inschriften** : V. Besevliev, **Die Protobulgarischen Inschriften** (Berlin, 1963).
- Besevliev, Konstantine V** : V. Besevliev, «Die Feldzüge des Kaisers Konstantine V gegen die Bulgaren», **EB**, 7/III (1971), 5-17.
- BHR** : Bulgarian Historical Review.
- Bon, Le Péloponnèse** : A. Bon, **Le Péloponnèse Byzantin Jusqu'en 1204** (Paris, 1951).
- Browning, Bulgaria** : R. Browning, **Byzantium and Bulgaria. A Comparative Study Across the Early Medieval Frontier** (London, 1975).
- BS** : Balkan Studies.
- BSI** : Byzantinoslavica. Prague 1929 ff.

- Burmov, **Les Sièges de Thessalonique**: A. Burmov, «Les Sièges de Thessalonique par les Slaves dans Miracula Sancti Demetrii Martyris et leur chronologie», *AUS*, 47 (1952), 167-215.
- BZ** : Byzantinische Zeitschrift. (Leipzig) München 1892 ff.
- Cameniatae, **De Exp.** : *Iohannis Cameniatae de Expugnatione Thessalonicae*, ed. G. Boehlig (Berlin, 1973).
- Charanis, **Capture of Corinth** : P. Charanis, «On the Capture of Corinth by the Onogurs and its recapture by the Byzantines», *Speculum*, 27 (1952), 343-350.
- Charanis, **Demography** : P. Charanis, «Observations on the Demography of the Byzantine Empire», *Proceedings of the XIII International Congress of Byzantine Studies* (Oxford, 1966), 445-463.
- Charanis, **Ethnic Changes** : P. Charanis, «Ethnic Changes in the Byzantine Empire in the Seventh Century», *DOP*, 13 (1959), 23-44.
- Charanis, **Hellas** : P. Charanis, «Hellas in the Greek Sources of the Sixth, Seventh and Eight Centuries», in : K. Weitzman (ed.), *(Late Classical and Medieval Studies in Honor of A.M. Friend)* (Princeton, 1955), 161-176.
- Charanis, **Hellenization** : P. Charanis, «On the Question of the Hellenization of Sicily and Southern Italy during the Middle Ages», *AHR*, 52 (1946), 74-87.
- Charanis, **Monemvasia** : P. Charanis, «The Chronicle of Monemvasia and the Question of the Slavonic Settlements in Greece», *DOP*, 5 (1950), 141-166.
- Charanis, **Monk** : P. Charanis, «The Monk as an element of Byzantine Society», *DOP*, 25 (1971), 63-84.
- Charanis, **Observations** : P. Charanis, «Observations on the History of Greece during the Early Middle Ages», *BS*, 11/1 (1970), 1-34.
- Charanis, **Slavonic Settlements** : P. Charanis, «On the Question of the Slavonic Settlements in Greece during the Middle Ages», *BSI*, 10 (1949), 254-258.
- Charanis, **Thessalonica** : P. Charanis, «Kouven; the chronology of his activities and their ethnic effects on the regions around Thessalonica», *BS*, 11/2 (1970), 229-247.

- DAI :Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio. Vol. I. Greek text ed. G. Moravcsik. English translation by. H. Jenkins (Budapest, 1949); Vol. II. Commentary, ed. R. Jenkins (London, 1962).**
- Delehaye, Recueils Antiques : H. Delehaye, «Les Recueils Antiques de Miracles des Saints», An Boll, 43 (1925), 57-64.**
- De Thematibus : Constantino Porfirogenito De Thematibus, ed. with commentary A. Perussi (Citta' Del Vaticano, 1952).**
- Doelger, Einsiedlung : F. Doelger, Ein Fall slawischer Emsiedlung im Hinterland von Thessalonika im 10. Jahrhundert. (Muenchen, 1952).**
- DOP : Dumbarton Oaks Papers. (Cambridge/Mass). Washington 1941 ff.**
- Dujcev, Die Responsa : I. Dujcev, «Die Responsa Nicolai I. Papae ad Consulta Bulgarorum als Quelle für die bulgarische Geschichte», FHHS, I (1959), 349-362.**
- Dujcev, L'Etat Bulgare : I. Dujcev, «La Formation de l'état Bulgare et de la Nation Bulgare», in : L'Europe aux IX-X Siècles. Aux Origines des Etats nationaux (Varsovie, 1968), 205-224.**
- Dujcev, Mont Athos : I. Dujcev, «Le Mont Athos et Les Slaves au Moyen Age», EM, 2 (1964), 121-144.**
- Dujcev, Moravia : I. Dujcev, «L'Activité de Constantin Philosophe-Cyrille en Moravie», BSl, 24 (1963), 219-228.**
- Dujcev, Serbes : I. Dujcev, «Une Ambassade Byzantine auprès des Serbes au IX siècle», KR SAN, 7 (1961), 53-60.**
- Dvornik, Byzance : F. Dvornik, Les Slaves, Byzance et Rome au IX Siècle (Paris, 1926).**
- Dvornik, Décapolite F. Dvornik, La Vie de Saint Grégoire le Décapolite (Paris, 1926).**
- Dvornik, Les Légendes : F. Dvornik, Les Légendes de Constantin et de Méthode vues de Byzance (Prague, 1933).**
- Dvornik, Photius : F. Dvornik, «The Uatriach Photius in the light of recent research», Berichte zum XL. International en Byzantinisten Kongress (München, 1958), Vol. III/2, 1-56.**

Dvornik, **Schisme** : F. Dvornik, **Le Schisme de Photius, Histoire et Légende** (Paris, 1950).

Dvornik, **The Slavs** : F. Dvornik, **The Slavs. Their Early History and Civilization** (Boston, 1956).

EB : Etudes Balkaniques.

EM : Etudes et Mélanges. Vanezia-Cheretogne.

Ferluga, **Dyrrachium** : J. Ferluga, «Sur la date de la Création du thème Dyrrachium», **Actes du XII Congrès International d'Études Byzantines** (Ochride, 1961), Tome II, 83-92.

FHHS : Festschrift des Haus —, Hof - und Staatsarchivs (Wien) 1949 ff.

Georgacas, **Slavic Groups** : D.J. Georgacas, «The Medieval Names Melingi and Ezeritae of Slavic Groups in the Peloponnesus», **BZ**, 43 (1950), 301-333.

Grégoire, **Justinien II** : H. Grégoire, «Un édit de l'empereur Justinien II date de Septembre 688», **B**, 17 (1944-45), 119-124.

Grégoire, **L'Origine** : H. Grégoire, «L'Origine et le Nom des Croates et des Serbes», **B**, 17 (1944-45), 88-118.

Hauptmann, **Les Slaves et les Avars** : L. Hauptmann, «Les Rapports des Byzantins avec les Slaves et les Avars Pendant la seconde moitié du VI siècle», **B**, 4 (1927-28), 137-170.

Hussey, **Byzantine Monasticism** : J. Hussey, «Byzantine Monasticism», in : **The Cambridge Medieval History**, IV/Pt. 2 (1967), 161-184.

Hussey, **World** : J. Hussey, **The Byzantine World** (London, 1961).

John of Ephesus (Smith) : **The Third part of the Ecclesiastical History of John of Ephesus**, ed. and trans. R. Payne-Smith (Oxford, 1860).

Karayannopoulos, **Peloponnes** : J. Karayannopoulos, «Zur Frage der Slavenansiedlungen auf dem Peloponnes», **RESEE**, 9/1 (1971), 443-460.

- Laurent, Saint-Demetrius : V. Laurent, «Sur le date des Églises saint-Demetrius et Saint-Sophie à Thessalonique», *BZ*, 4 (1895), 420-434.
- Lemerle, Anciens Recueils : P. Lemerle, *Les Plus Anciens Recueils des Miracles de Saint Démétrius et la Pénétration des Slaves dans les Balkans* (Paris, 1979, 1981), 2 Vols.
- Lemerle, Chron. Monemvasie : P. Lemerle, «Le chronique improprement dite de Monemvasie : Le Contexte Historique et Legendaire», *REB*, 21 (1963), 5-49.
- Lemerle, Invasions : P. Lemerle, «Invasions et Migrations dans Les Balkans depuis la Fin de l'Époque Romaine jusqu'au VII^e siècle», *RH*, 211 (1954), 265-308.
- Lemerle, La Composition : P. Lemerle, *La Composition et la Chronologie des deux Premiers livres des Miracula S. Demetrii*, *BZ*, 46 (1953), 349-361.
- Lemerle, Macédoine : P. Lemerle, *Philoppes et la Macédoine Orientale à l'Époque Chrétienne et Byzantine. Recherches d'Histoire et d'Archéologie* (Paris, 1945).
- Maurice, Strategikon Mauricius Arta Militaria, ed. H. Mihaescu (Bucuresti, 1970).
- Michel le Syrien : *Chronique de Michel Le Syrien*, ed. J.B. Chabot (Paris 1899-1905), 3 Vols.
- Miracula Sancti Demetri, AASS : *Miracula Sancti Demetri*, in : *AASS*, Oct. 8, vol. IV, 104 to 197.
- Miracula Sancti Demetri, PG : *Miracula Sancti Demetri*, in : *Migne*, *PG*, vol. 116, cols. 1774-1384.
- Monemvasias Chronikon : *To Peri tes Ktiseos Monemvasias Chronikon*, ed. A. Bees (Athens, 1909), 37-105. [= Byzantis, I (1909)].
- Moravcsik, Byzantinoturcica : G. Moravcsik, *Byzantinoturcica* (Berlin, 1958), 2 Vols.
- Nicephorus : *Nicephori Archiepiscopi Constantinopolitani Opuscula Hstorca*, ed. C. De Boor (Leipzig, 1880).

Obolensky, Byzantine Slav Relations : D. Obolensky, «The Cult of St. Demetrius of Thessaloniki in the History of Byzantine-Slav Relations», BS, 15 (1974), 3-20.

Obolensky, Commonwealth : D. Obolensky, *The Byzantine Commonwealth. Eastern Europe, 500-1453* (London, 1971).

Oikonomides, Cephalonie : N. Oikonomides, «Constantin VII Porphyrogenète et les thèmes de Céphalonie et de Longobardie», REB, 23 (1965), 118-123.

Oikonomides, Préséance : N. Oikonomides, *Les Listes de Préséance Byzantines des IX et X Siècles* (Paris, 1972).

Ostrogorsky Staaten-hierarchie : G. Ostrogorsky «Die byzantinische Staatenhierarchie», SK, 8 (1936), 41-61.

Ostrogorsky, State : G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, trans. J. Hussey (New Brunswick, 1957).

Ostrogorsky, World Order : G. Ostrogorsky, «The Byzantine Emperor and the Hierarchical World Order», SEER, 35 (1956-57), 1-14.

Photius, Epistola : «Photii Sanctissimi Patarchae Constantinopolitani Epistola ad Michaelen Bulgariae Principem; de Officio Principis», in : Migne, PG, Vol. 102, Cols. 627-696.

REB : Revue des Études Byzantines. (Paris) 1946 ff.

RESEE : Revue des Études Sud-Est Européennes.

PH : Revue Historique.

SEER : Slavonic and East European Review.

Seibt, Die Ekleroi : W. Seibt, *Die Skleroi. Eine Prosopographisch-Sigillographische Studie* (Wien, 1976).

SK : Seminarium Kondakovianum. Recueil d'Études Archéologie, Histoire de l'Art, Études Byzantines.

Tapkova-Zaimova, Le Colonisation : V. Tapkova-Zaimova, «Sur Quelques aspects de la Colonisation Slave en Macédoine et en Grèce», EB, I (1964), 111-123.

Theophanes : Theophanis Chronographia, ed. C. De Boor (Leipzig, 1883-1885), 2 vols.

Theophanes Cont. : Theophanes Continuatus, Ioannes Cameniata, Symeon Magister, Georgius Monachus, ed. I. Bekker (Bonn, 1838), 1-481.

Theophylactus Simocatta : Theophylacti Simocattae Historiae, ed. C. De Boor (Leipzig, 1887).

Tougard, L'Histoire Profane : A. Tougard, De l'Histoire Profane dans Les Actes Grecs des Bollandistes (Paris, 1874).

Vasmer, Die Slaven : M. Vasmer Die Slaven in Griechenland (Berlin, 1941).

Vlasto, Christendom : A. Vlasto, The Entry of the Slavs into Christendom. An Introduction to the Medieval History of the Slavs (Cambridge, 1970).

ZRSAN : Zbornik Oadova Srpske Akademije Nauka. Vizantoloski Institut.

1. The first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the
the first of these is the fact that the

2. The second of these is the fact that the
the second of these is the fact that the
the second of these is the fact that the

3. The third of these is the fact that the
the third of these is the fact that the
the third of these is the fact that the

4. The fourth of these is the fact that the
the fourth of these is the fact that the
the fourth of these is the fact that the

5. The fifth of these is the fact that the
the fifth of these is the fact that the
the fifth of these is the fact that the

6. The sixth of these is the fact that the
the sixth of these is the fact that the
the sixth of these is the fact that the